الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة محمد بوضياف -المسيلة-

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

العنوان:

مفهوم الإنسان عند إيريك فروم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

من إعداد الطالب:

بن علي عبد الغاني

إشراف الأستاذة:

مزواد نسيبة

السنة الجامعية: 2017/2016

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى ذاكرة حياتي إلى الروح التي

سكنت فؤادي إلى روح والدتي الطاهرة العزيزة تغمدها الله بواسع رحمته

وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها إلى الوالدين الكريمين

إلى الشمعة المضيئة للطريق الصحيح أبي العزيز

إلى من كانوا يضيئون إلى الطريق ويساندونني إلى من وفروا لي الجو الملائم والعيش

الهنيء إخوتي أعمامي أبناء العم وكل أفراد عائلة "**العمري**" أحبكم

حبا لو مر على أرض قاحلة لتفجرت منها ينابيع

المحبة والإخاء

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى كل الأصدقاء الذين تعرفت

عليهم في جميع مستوياتي الدراسية

إلى من علمني حرفا إلى كل أساتذة والمعلمين بدءا من الإبتدائي إلى الجامعي

إلى أزهار الربيع "**خديجة، أسامة، تسنيم**"

شكر وإمتنان

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة العالمين

سيدنا وحبيبنا محمد وعلى أهله وصحبه أجمعين

وعمل **بقوله" لئن شكرتم لأزيدنكم"**

نشكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ومنها توفيقه تعالى لي على إتمام هذا العمل

كما أتقد م بجزيل الشكر والإمتنان إلى الأستاذة المشرفة والمؤطرة **"مزواد نسيبة"**

صاحبة الفضل في توجيهي ومساعدتي فجزاها الله عنا خير الجزاء وفقها في إتمام

رسالة الدكتوراه وأيضا وفاءا وتقديرا وإعترافا مني بالجميل أتقدم بخالص الشكر للأساتذة

الأفاضل الذين لم يدخروا جهدا في مساعدتي في بحثي هذا وأخص بالذكر

الأساتذة **"خوضر رياض، زروخي الدراجي، أحمد الطاهر محمد الشريف"** وكل أساتذة

قسم الفلسفة بجامعة المسيلة وكل طلبة قسم الفلسفة دفعة 2016-2017

كما أتقدم بالشكر المسبق لأعضاء اللجنة المناقشة لهذه المذكرة

وأخيرا أشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة في إخراج هذه الدراسة على أكمل

وجه وحتى ولو كان بالكلمة الطيبة الإخوة، الأصدقاء

الأقارب.

مقدمة

مقدمة:

لا يختلف إثنان إذا قلنا أن الإنسان في العصر المعاصر يعيش في حالة من التطور التقني لم يسبق له مثيل منذ تواجده على سطح الأرض ،ومعتبرا ذلك التقدم بأنه روح الحضارة وجوهرها، حتى أن تصنيف الشعوب والأمم في ركب الدول المتقدمة، يحتكم إلى العامل التكنولوجي كمعيار أساسي في تحديد عملية التصنيف، وقد إستطاع الإنسان في هذا العصر الصناعي أن يحقق كل مظاهر السيادة على الطبيعة وغضبها والوصول إلى التخلص من كل التفسيرات الغيبة الميتافيزيقية والأسطورة محاولين طرحها في قالبها العلمي، وحصل كل هذا بعد تحقيق وظهور الفلسفة التنويرية التي تمجد سلطة العقل من خلال محاولة بعثه واحيائه في الحياة الإنسانية.

وفي ضل عالم الموجودات والأشياء الإنتاجية التي بلغت من التطور مبلغا عظيما شهد الإنسان تطورات ومفارقات على مستويات عدة نفسية عقلية تاريخية هووية ودينية، فبانفصال العقل عن الجانب الروحي الإنساني قد تحول ذلك التطور إلى تقدم قاتل، فاعتمد هذا النظام الصناعي على معايير تنافسية تمجد الربح والإنتاجية، وهنا شعر الإنسان المعاصر بحالة من التمزق والضياع وغياب الوعي والحركية التلقائية فامتص هذا النظام المادي عن طبعه خاصية التفكير النقدي وجعله بذلك سجينا للموجودات التي أوجدها، يعيش في حالة من العبودية والبربرية الأولى تراود وتعذبه الشكوك والتساؤلات عن وجوده وكينونته.

وخوفا من العبثية التي آل إليها وضع الإنسان تعالت الأصوات الإنسانية التي تخشى من المصير المجهول الذي ستؤول إليه هذه الحضارة الأخيرة التي تلغى كل معالم الخصوصية الثقافية وتسعى لمحو كل الاختلافات الجوهرية.

وبغية إنقاذ ما تبقى من "إنسان "وجه المفكرون والفلاسفة نضرهم للنزعة الإنسانية ولعل من أبرزهم نجد "إريك فروم" أحد أتباع مدرسة فرنكفورت الذي انصبت كل أفكاره ومؤلفاته حول الظاهرة الإنسانية في عالم التطور التقني والاستخدامات اللاعقلانية لذلك الجانب، كما أنه إهتم بالإنسان ودراسته من ناحية النفسية والاجتماعية

من خلال تعامله مع الأخرين محاولا في ذلك الإجابة على الإشكالية التالية والتي تعتبر محور بحثنا:

-ما هو المشروع الذي قدمه إريك فروم ليعيد للإنسان ذاته وكينونته في مواجهة المد التكنولوجي؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات:

-ماهي الأسباب التي كانت وراء تحول العلاقات الإنسانية إلى سلع تبادلية؟ -

-ماهي مظاهر ذلك التحول اللاإنساني؟

-هل من سبيل للإنسان المعاصر لكي يثبت ذاته وكينونته ويحقق انتصاره على عالم الأشياء؟

أما عن السبب في اختيار هذا الموضوع فيرجع إلى سببين ذاتي وموضوعي أما عن الأسباب الموضوعية فهو محاولة تشخيص تلك المظاهر اللاإنسانية من خلال إبراز صورها، والتعمق في الأسباب المؤدية إلى تلك التحولات، وكيفية الخروج من هذا المأزق وتحقيق السلام والعيش في كنف الحرية والوئام.

-سبب ذاتي: هو محاولة إخراج البعد الإنساني منى كنموذج اعتمدته في هذه الدراسة ومحاولة تعميمه على باقي الأفراد في محيطي، وكما يعود السبب في اختيار هذا الموضوع إلى الميل الشخصي لمدرسة فرنكفورت النقدية وروادها.

وقد قسمت بحثي هذا وفق ما تقتضيه المادة المعرفية إلى خطة تحتوي مقدمة وخاتمة وثلاث فصول جاءت معنونة ومفصلة كالآتي:

حمل **الفصل الأول** عنوان أسباب التحول الإنساني فحاولت فيه إبراز مختلف الأسباب والدوافع التي شكلت الإنسان المعاصر وأدخلته في عالم من الفوضى واللامعنى، قد قسمت هذا الفصل إلى أربع مباحث عنونت المبحث الأول بالمنطلقات الفكرية لإريك فروم، أما المبحث الثاني فكان بعنوان الثورة الصناعية وتأثيراتها على الإنسان، وقد وسمت المبحث الثالث بالإنسان المعاصر والعقل الأداتى ،أما المبحث الرابع فكان بإسم المبادئ المرشدة للنظام التكنولوجي الراهن.

أما عن **الفصل الفصل** الثاني فعنونته بمشكلة الوعي لدى الإنسان المعاصر، وتم التطرق فيه إلى مختلف التحولات والتغيرات التي طرأت على الإنسان المعاصر والتي إنجذب نحوها، ومشكلة فقدانه للوعي والحرية وإنفصاله عن الوجود الإنساني وإندرجت تحته ثلاث مباحث، تناولت في المبحث الأول الإنسان الآلي أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان الإنسان والنزعة التجريدية، أما في المبحث الثالث فتطرقت فيه إلى كينونة الإنسان المعاصر.

أما **الفصل الثالث** فحمل عنوان القيم الروحية والبعث الإنساني، وتناولت في هذا الفصل مجموعة من الحلول التي يراها فروم أنها مناسبة لإحياء هذا الإنسان المعاصر وكفيلة بإخراجه من مأزقه، مركزا في ذلك على القيم الأخلاقية والحب وإنطوى تحته ثلاث مباحث موضحة كالآتي، جاء المبحث الأول بعنوان الأخلاق المضللة للإنسان، وسمت المبحث الثاني الأخلاق بين الدين التسلطي والإنساني، أما المبحث الثالث فعنونته بالحب كقيمة إنسانية.

ولاستكمال هذا البحث وتقديمه في شكله هذا اعتمدت على المنهج التحليلي الذي يتلاءم مع طبيعة الموضوع، ويظهر ذلك من خلال التفسير والشرح للنصوص والانتقال من المركب إلى البسيط، إضافة إلى المنهج المقارن الذي يتجلى في مقارنة بعض الأفكار والمواضيع التي طرأ عليها التغير بين الإنسان المعاصر والإنسان الإنساني.

وللإحاطة بموضوع البحث اعتمدت على مصادر إريك فروم التي تخوض في هذه الإشكالية بشكل بارز وركزت على مجموعة من المؤلفات بنوع خاص نظرا للأفكار المعروضة فيها والتي تتلاءم مع هذا الموضوع وعلى رأسها كتاب المجتمع السوي، كتاب ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤسسه، وكتاب الإنسان بين الجوهر والمظهر والإنسان لأجل ذاته، وكتاب من الحب، أما من ناحية المراجع فقد ركزت على سبيل المثال لا الحصر كتاب الإنسان المغترب عند إريك فروم لحسن حمادة وكتاب الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة لفيصل عباس.

وكأي بحث أكاديمي واجهتني جملة من الصعوبات التي واعترضت طريقي في الكثير من الأحيان لاستكمال هذا البحث، فتمثلت في قله وشح المراجع التي تخوض في شخصية إريك فروم، وإن وجدت فإنها تناقش المشكل النفسي أكثر من فلسفي، وكذا غموض بعض المصطلحات والمفاهيم التي تتداخل مع فلسفة سغموند فرويد وكارل ماركس باعتبار فروم أحد المتأثرين بهما، ففي الكثير من الأحيان اضطر إلى التعريج على فلسفة كل منهما لمحاولة فهم تلك المصطلحات والمفاهيم وهذا ما يتطلب الوقت الأطول.

الفصل الأول

الأسباب المفضية للتحول الإنساني

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية لأريك فروم

المبحث الثاني: الثورة الصناعية وتأثيراتها على الإنسان.

المبحث الثالث: إريك فروم والعقل الأداتي.

المبحث الرابع: المبادئ المرشدة للنظام التكنولوجي الراهن .

تمهيد

لا ننكر القول بأن الإنسان المعاصر يعيش في حالة من التقدم والنجاح لم يسبق لها مثيل على مدي العصور السابقة، غير ان حالة التقدم والتطور التي ظهرت للوجود خاصة مع مطلع القرن الثامن عشر جعلت من هذا الإنسان كائنا غريبا عن إنسانيته يعيش في مادية مفرطة، فإنسان اليوم قد مات شعوريا وروحيا وإن كان يحيا جسديا، وكان ذلك لتعلقه بتلك الماديات المغرية التي أفرزتها تلك التكنولوجيا، وعلى إثر تلك المظاهر اللإنسانية التي طفت على السطح نطرح التساؤل التالي: ماهي الأسباب التي تكمن وراء هذا التغير الإنساني؟

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية لإريك فروم

يعد الفيلسوف أو المفكر إبن بيئته يؤثر ويتأثر، وسواء كان تأثيره في ذلك إيجابيا ويتجلى لمساندة لتلك المؤثرات والمتغيرات، أو كان رافض لتلك المتغيرات وناقدا لها محاولا في ذلك طرح البدائل والحلول الملائمة، ويعتبر إريك فروم واحد من الفلاسفة والمفكرين الذين تأثروا بتلك المتناقضات التي طرأت على الساحة الإجتماعية للإنسان الغربي، وواحد من الذين ناضلوا في سبيل إعادة هيكلة الإنسان طالما أنه يمتلك ملكة العقل محتكما ومرتكزا في تحليله هذا على عدة خلفيات، وعلي هذا نطرح التساؤل التالي: فيم تجلت مظاهر تلك التأثيرات او المحفزات الرئيسية لفكر إريك فروم ؟

أولا: الحرب العالمية وظهور النازية.

1-الحرب العالمية

للحرب العالمية بالغ التأثير في الفكر الفلسفي والجانب الإجتماعي عند "**إريك فروم***"، وكان ذلك من خلال القضايا التي طرحتها الحرب العالمية الأولى والثانية على الساحة العالمية للإنسان المعاصر "**بينما كان القتال في الحرب العالمية الأولى قاصرا على أوربا بدرجة كبيرة، نجد أن الحرب العالمية الثانية قد شملت جميع القارات فيما عدا أمريكا الجنوبية لذلك فقد خلقت هذه الحروب شعورا بالقلق والتوتر لا يزال يحاصر الإنسان المعاصر حتى يومنا هذا، فلم يعرف التاريخ الحضاري للإنسان أزمة مثل تلك الأزمة البشرية**"[1].م تكن القضايا السياسية هي الشغل الشاغل لفروم بقدر ما كان يشغل تفكيره المصير الإنساني وما نتج عن تلك الحروب من قتل خراب وتدمير، سواء كان ذلك في جانبه المادي أو جانبه النفسي، وهذا ما جعل الإنسان المعاصر يعيش في حالة خوف وقلق حول المصير الذي سيصير إليه جراء هذه الحروب خاصة وبداية توسع نطاقها.

وقد إنشغل في هذا الموضوع الكثير من التيارات الفلسفية والفكرية من بينهما الوجودية أمثال "**جون بول**"" **سارتر وكيركجارد** "**الذي وصف هذا الفرد بالعاجز الممزق الذي تعذبه الشكوك**"[2].

---

* ولد إريك فروم في فرنكفورت بألمانيا في الثالث والعشرين من مارس عام 1900م وتوفي عام 1980م ودرس علم النفس والإجتماع كان غالبا ما يمزج في كتاباته بين علم النفس والأنثوربيولوجيا والفلسفة، وقد يمكن القول بأن بعض مؤلفاته يغلب عليها الطابع الفلسفي وله العديد من المؤلفات نذكر على سبيل المثل لا الحصر، الخوف من الحرية، المجتمع السوي، الإنسان بين الجوهر والمظهر، التشريحية التدميرية البشرية 1_ 2. أنظر، حسن حمادة: الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة القاهرة، مصر، د ط، 2005م، ص 15.

[1] المرجع نفسه، ص 24.

[2] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، دار المنهل اللبناني، ط1، 2005، ص 465.

إن ما حل بالإنســـان في الحرب العالمية من دمار وعبثية وموت هو ما جعل تلك التيارات تولي الإهتمام بالإنسان ومصيره المجهول "**نحن الذين نحيا في العالم الغربي ثراءا ماديا أكبر من ثراء أي مجتمع آخر في تاريخ الجنس البشري، ومع ذلك فقد تمكنا من قتل الملايين من سكاننا في تدبير نطلق عليه "الحرب" وفيما عدا الحروب الصغرى وقعنا عن الحروب الكبرى**"[1].

لقد أحدثت تلك الحروب التي كانت تسعى إلى السيطرة وبسط النفوذ الى بث اليأس والخضوع لدى الإنسان، المعاصر كما أنها أحدثت نوعا من العجز والانطواء على الذات والاستسلام والرضا التام.

لقد سعى "**إريك فروم**" إلى فهم إشكاليات الواقع المعاصر من خلال تشخيص للحالة المرضية التي تسود هذا المجتمع الإنســاني، محاولا في ذلك إلى حل شــفرات أزماته العميقة فكان لاندلا ع الحربين العالميتين الأولى والثانية ونتائجها الوخيمة على البشــرية بمثابة النقطة أو القضــية المركزية التي شــغلت فكره من خلال ســؤاله في ذلك عن مصـــير الإنســـان الذي يئن تحت وطأة الأنظمة التوتاليتارية* والديكاتورية التي تمارس هيمنتها على الإنسان الذي أصبح كائنا مستلبا ووجوده عاريا من الإرادة والطموح.

1- الحركة النازية: هناك مظهر آخر من مظاهر التسلط المؤدي إلى خضوعها الإنسان رافق النزعة التدميرية للحرب العالمية، والمتمثل في الحركة النازية بقيادة "**هتلر**" وهو القهر والألماني الذي قد حضي بنوع من القداسية في أوساط هذا المجتمع "**رغبة لا محدودة في الخضوع لزعيم قوي يجد فيه الشعب آماله المفقودة، كل هذه الأسباب وغيرها كان من شأنها أن تساعد إن لم تكن تؤدي إلى ظهور تلك الأنظمة التسلطية**"[2].

---

[1] **إريك فروم**: المجتمع السوي، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، الإشراف الفني والطباعي أحمد فكيدي، ط1، ص 103، 104.

* **التوتاليتارية**: نجدها أحيانا بصيغة الشمولية أو الكليانية وهي تعريب للكلمة اللاتينية tatlitas وتعنى الكل أو الامتلاء أما في اللغة الإنجليزية totalitarisme فتعنى الإحاطة والشمول، والأحتواء أول من إستعملها في الجانب السياسي الرئيس الإيطالي موسوليني (1883 _ 1944) في خطابه الذي القاه في 28 تشرين الأولى 1925م في قوله الكل في الدولة ولا قيمة لشيء إنساني أو روحي خارج الدولة بعدها قام الفيلسوف الإيطالي جيوفاني جيتيل (1875_ 1944) ببلورة المفهوم فلسفيا وسياسيا في مقاله المعنون الأسس الفلسفية للفاشية الصادر سنة 1928م ووظف المصطلح بمعنى الإحاطة الشاملة للنظام الفاشي القائم على مبدأ لا حدود لإمكان لا يحق للدولة التدخل فيها أنظر خديجة زتيلي: الفلسفة السياسة المعاصرة، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، (الجزائر-لبنان)، ط1، 2014، ص 111.

[2] حسن حمادة، المرجع السابق، ص 20.

وهذا المظهر أي الخضـوع لم يفارق الإنسـان منذ القديم فهي فكرة متجذرة في ذهن الإنسـان، فكان الإنسان البدائي يسلم بكل قواه الطبيعية إلى عالم روحاني ميتافيزيقي مثال ذلك فكرة الطوطم* أو الولاء لبعض الأشـخاص، وهو ولاء مفرط وسـلبي في الكثير من الحالات وهو ما تظهر ملامحه في عصـرنا الحالي حيث يرى المواطن في تلك الشـخصـية صـفة المخلص والمنقذ، وهذا الفعل في الكثير من دلالاته يؤدي إلى بروز سـلطات وحكومات تسلطية.

"**ومن المدهش أن جاءت أول مؤلفات فروم الخوف من الحرية "1941"بعد تعبير صـــريحا من رفض فروم للنازية وعدائه لكل الحركات التســلطية**"[1] لأن الحركة النازية أو السـلطة التسـلطية لا ترى في المواطنين كأشـخاص فاعلين، ولأجل تلك العملية التخذيرية تسعى تلك الأنظمة إلى تصـفية كل الرافضـين لها لتبقى، الحقيقة مقتصرة على بلاط الحاكم الفوهور.

"**فبمجرد أن أمسـك زمام الحكم حتى اعتبر أن القتال ضـده يعني انعزال المرء من المجتمع الألمان وعندما ألغيت الأحزاب السـياسـية الأخرى وأصـبح الحرب النازي هو ألمانيا، أصـبح المعارضـة له تعني المعارضة لألمانيا**"[2].

فبتباعد المســافة بين ذلك النظام والمحكومين يصــبح ذلك الفرد في حالة الإســتســلام التام الناتج عن الثقة العمياء، ويعدو كل قول صــادر عن هذا النظام هو بمثابة الحقيقة الإلهية، لقد خلعت تلك الأنظمة الفاشية الإنسان من إنسانيته وجرءته من كل قيم السلام والإخاء.

* **الطوطم**: وصفة عامة حيوان من الحيوانات التي يؤكل لحمها وغير مؤذيا أو بالعكس خطر مهاب الجانب وفي النادر الأندرنيات أو قوة طبيعية (مطر ماء) تربط بينهما وبين الجماعة برمتها صلة خاصة والطوطم هو في المقام الأول سلف العشيرة وهو في المقام الثاني روحها الحامي وولى نعمتها الذي يبعث لها بالنبؤات والذي يعرف أولادها ولا يفترسهم حتى وإن يكن عظيم الخطورة على العشائر الأخرى، سغموند فرويد: الطوطم والحرام، ترجمة: جورج طرابلسي، دار الطليعة، بيروت، د ط، د ت، ص 10.

[1] حسن حمادة: المرجع سابق، ص 20.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 19.

ثانيا: مدرسة فرنكفورت النقدية:

"إن فلاسفة النظرية النقدية عملوا الكشف عن فضاعة العقلنة في النظام الإجتماعي، منطلقين من أرضية العمل العقلاني لأنهم يسلمون بأن العقلنة أصبحت محايثة لتطوير البشرية، غير أنها إستعبادية أكثر منها هي تحريرية كونها أفرزت عالما صارما في ضبطه الإداري يلغي الإختلافات ويستبعدما هو خاص وينزع عن الفرد كل دلالة"[1].

تعتبر مدرسة فرنكفورت تيار فلسفي إجتماعي، تمثلت مهمتها في نقد مجمل الأفكار والممارسات التي طرحها عصر التنوير، والتي مست في بنية الإنسان المعاصر ولم تحافظ على خصوصياته، فقد كانت تلك الأفكار تكرس السيطرة وكل أشكال الهيمنة على الإنسان والطبيعة.

"إن "هوركهايمر" ولا سيما "ماركيوز" وكذلك "إريك فروم" قدموا تحليلا متعدد المنطلقات للمجتمع الصناعي المتقدم ولأساسه الإيديولوجي، بهدف الكشف عن الآليات الواعية واللاواعية التي تحكم الفرد وفي الجماعة أو ما سميه "ماركيوز" الإنسان ذو البعد الواحد المتحرك داخل المجتمع المغلق"[2].

وكل من هؤلاء الأعلام وغيرهم من لم يذكر إسمهم، هم من رواد مدرسة فرنكفورت الذين إنشغلوا بالبحث في مشكلة الحرية والعدالة في المجتمع الغربي والإنسان المعاصر عموما، بهدف الوصول إلى نظام إجتماعي يحقق تلك الغايات الإنسانية التي إنعدمت في هذا المجتمع.

ويعتبر **"إريك فورم"** واحد من هؤلاء الرواد الذين كرسوا جهدهم وتفكيرهم حول القضية الإنسانية، حيث أضاف للمدرسة عامل التحليل النفسي، ورأى أنه من غير الممكن فصل الإنسان وحالته النفسية عن أوضاعه الاجتماعية، فما يعيشه من أوضاع مأساوية سيؤدي بضرورة الحال الى التغير في حالته النفسية وطباعها، وكانت أهم محاور دراسته تقوم على الحالات المرضية التي أحرزها هذا المجتمع من عدوانية واغتراب اجتماعي.

وتهدف النظرية النقدية إلى تحرير العقل الإنساني وانتشاله من عصر الهيمنة والخرافة والتسلط، والوصول به إلى الحالة العقلانية إلى إنسانية الإنسان التي تقوم على التفكير الحر الذي بإمكانه إيقاض الوعي الإنساني.

---

(1) محمد نور الدين: أفاية الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1998، ص 33.

(2) المرجع نفسه، ص 37.

"**فحاول فروم كمحلل نفسي الفرويدية والماركسية وإثراء التصور الماركسي عن الطبيعة الإنسانية وإستجلاء العلاقة بين الأساس الإقتصادي للمجتمع وبنيته الفوقية الثقافية**"[1].

وبدى تأثر فروم بفرويد من خلال النزعة العدوانية، أما تأثره بماركس فكان من خلال دراسته لمشكلة إغتراب الإنسان ونقده للنظام الرأسمالي الذي يقيم قيمة للإنتاج وإهماله للعامل الذي هو في الأساس محور العملية الإنتاجية.

إن الدافع الأساس لتشكيل تلك المدرسة هو بروز تلك الفروقات والتناقضات داخل المجتمع "**ففروم وماركيوز يصران فيما بعد على أن أي أصل باق في الحرية الإنسانية يتطلب الإطاحة بالأولويات البورجوازية للكبت النفسي إلى جانب ميكانزمات الظلم الطبقي** "[2].

وكذلك هيمنة النظم الرأسمالية وتعزيز سيطرتها الإقتصادية والإيديولوجية سعت" **النضرية النقدية الفرومية إلى الدعوة إلى تأسيس اشتراكية إنسانية تنقذ الإنسان من الضياع**"[3].

فقد حملت مدرسة فرنكفورت في طياتها مهمة التوعية الإجتماعية من خلال عملية النقد لكل الظواهر والآفات التي قد تضر في حالة الإنسان ومن خصائصه، وكانت مهمتها في بدايتها الأولى تهتم بمناهضه النزعات التسلطية.

"**إن الوعي النقدي الذي تريد إحياءه مدرسة فرنكفورت يهدف إلى كسر الخوف والرعب الذي سيطر على قلوب الجماهير المستلبة من قبل الأنظمة الديكاتورية المتسلطة، وبث الأمل في روح الخرق والعصيان العقلي على كل منظومات الخطاب الفاشي**"[4].

إن الهدف الأساسي للمدرسة هو جعل العقل الإنساني عقلا ثوريا، متحديا في ذلك كل شكل من أشكال المماثلة ورافضا لكل النزعات التسلطية التي تجعل من الفرد خاضعا.

---

[1] توم بوتومور: مدرسة فرنكفورت، ترجمة: سعد هجرس، دار أويا، ليبيا، ط2، 2004، ص 23.

[2] فيصل عباس: نقد الحضارة المعاصرة، المرجع السابق، ص 667.

[3] المرجع السابق، ص 19.

[4] على عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانه، مدرسة فرنكفورت النقدية، إبن النديم، الجزائر، ط2012، 1، ص 186.

ثالثا: الإتصال الفكري للفلسفة بباقي العلوم.

"لقد إمتزجت الفلسفة بالأدب والعلوم الإنسانية العلوم التجريبية والرياضية إذ إستطاع كثير من الفلاسفة المعاصرين كسارتر وكامي أن يبسطوا القضايا الميتافيزيقية المجردة ليصلوا بها إلى مستوى الجمهور وإلى القدرة على التعبير عن الواقع الحياتي"[1].

لقد كان للحرب العالمية ونتائجها الوخيمة على الإنسان دور في توحيد جهود المفكرين المعاصرين على إختلاف توجهاتهم سواء كانت الأدبية أو الفلسفية أو النفيسة منها.

ويكمن هذا التوحيد في الإلمام والوعي بأزمة الإنسان المعاصر في القرن العشرين، فنجد مثلا أن سارتر وهو فليسوف وجودي وأديب فرنسي ركز في مختلف رواياته على الإنسان وعن حريته المسلوبة في عالم الصراعات، وكانت كل مسرحياته تدور حول صراع الإنسان لنيل حريته وحياته، ولا ننسى الموقف الذي إتخذه سارتر في دعم القضية الجزائرية "**لم تأخذ رواية الغثيان على الرغم من نجاحها منقطع النظير لسارتر لكي يكون روائيا فحسب، بل تحول سارتر في ما بعد إلى نموذج الفيلسوف الأديب متنوع الكتابات فهو صحافي وروائي ومسرحي وفيلسوف وسياسي وأبرز دليل على ذلك التفات سارتر بعد الغثيان إلى أحدى أعمق إشكاليات الفلسفة ألا وهو الخيال**"[2].

كما أنه قد شارك الشعر الفلسفة والأدب في التعبير عن أزمة الإنسان المعاصر مثال ذلك إيليا أبو ماضي في قصيدته الطلاسم يقول في ذلك:

لست أدري

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود

هل أنا حر طليق أم أسير في قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدري ولكن

لست أدري

---

(1) حسن حمادة، مرجع سابق، ص 27.

(2) علاء الدين العالم: جان بول سارتر عاصفة على الفكر العالمي، صحيفة العرب، لندن، العدد 9643، في 2014/08/09، ص 14.

وأن من "**صـــفات المبدع كما يقول فروم تحمل عدم اليقين حيال أهم الأســـئلة التي تجابهنا بها الحياة**"[1] **فقد كان إيليا أبو ماضي شاعر متبصر لا ينظر إلى الأمور على بساطتها وهذا ما يجعل غيره يصفونه بالمتشائم أليس التحيز هو بداية الحكمة**" [2].

وإذا تحدثنا عن إمتزاج الفلسفة بالعلوم الإنسانية فحسبنا أن نذكر أن إريك فروم كمحلل نفسي يستند إلى الفلسفة كدعامة أساسية لبناء أفكاره وآراءه.

أما إذ تحدثنا عن "**إمتزاج الفلســفة بالعلوم التجريبية والرياضــية فيمكن للمرء أن يذكر فقط تلك المذاهب الفلسـفية المعاصـرة التي حاولت أن ترتدي ثوب العلم، ونعني بذلك بعض الإتجاهات كالوضـعية المنطقية والتحليلية والبراغماتي**" [3].

يعبر أصـحاب الوضـعية المنطقية على أن وحده التحليل العلمي أو الرياضـي هو الذي يعطي الإنسـان معنى للحياة من خلال مقولات الكم، وأن الدين والميتافيزيقا هي عبارة عن مضـامين جوفاء لا يمكن أن تعطي الإنسان معنى إدراكي ولا يمكن قيام فلسفة علمية إلا من خلال التحليل المنطقي العلمي.

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 39.

[2] حسن حمادة، مرجع سابق، ص27

[3] المرجع نفسه، ص 27.

المبحث الثاني: الثورة الصناعية وتأثيراتها على الإنسان.

تعتبر الثورة هي ذلك التغيير الجدري الحاصل على أي مستوى سواء كان إجتماعي أو سياسيا أو إقتصادي، والثورة الصناعية هي إحدى تلك الثورات التي تحددت في مجالها الإقتصادي وكان لها ما كان من النجاح والتأثيرات على الإنسان مايزال يعيشها هذا الإنسان إلى يومنا هذا، وعليه نتساءل ما هي التأثيرات التي تركتها هذه الثورة على الإنسان ؟ فيما تمتلث تلك التأثيرات والتغيرات على الإنسان ؟.

اولا: الثورة الصناعية الأولى:

"إن الثورة الصناعية الأولى قد تميزت بحقيقة أن الإنسان قد تعلم أن يحل محل الطاقة الحية للحيوانات والناس طاقة آلية هي طاقة البخار البترول والكهرباء والذرة وهي المصادر الحديدة للطاقة"[1].

فقد تميزت تلك الحركة التجديدية أو الثورة بتغيير على مستوى الطاقة وكان الهدف من ذلك هو التخفيف من الأعباء على الإنسان الذي كان يقوم بكل تلك المهام.

"إن الإعتقاد القديم في القرن التاسع عشر إلا وهو أن الآلة سوف تساعد على تخفيف عكس الإنسان وأنها سوف تبقى وسيلة لغاية" [2]،لكن قد حصل عكس ذلك، إذ أدت تلك التحولات إبان الثورة الصناعية الأولى إلى تنامي الطبقية بين أفراد الدولة الواحدة، حيث أصبحت هناك الطبقية بين أفراد الدولة الواحدة فبرزت الطبقة البورجوازية وهي الطبقة المالكة والمسيرة لتلك المنشآت والثروة، وبالجهة الأخرى طبقة كادحة وهي الطبقة العاملة الباحثة عن فرص التوظيف من أجل تحقيق المعيشة الحياتية كما أنها تعد هذا الواقع وأصبحت أن صح التعبير القول بطبقية بين الدول المصنعة والدول المستهلكة،" **فالموقف الاستغلالي والادخاري قد سبب المعاناة الإنسانية وانعدام الإحترام لكرامة الإنسان وسبب لأوروبا أن تستغل إفريقيا وآسيا وطبقتها العاملة بقسوة من دون إعتبار للقيم الإنسانية**"[3]

وفي ضل هذا التنامي الخطير للطبقية بدت الدول المتأثرة بالثورة الصناعية دول ذات تحكمية وسيادية على الشعوب الضعيفة وهذا ما سمح لها باستغلال قوتها الصناعية لفرض منطقها، وكان ذلك من خلال الشركات الإحتكارية الكبرى التي أصبحت تحدد سوق المبادلات التجارية وفقا لما تقتضيه مصلحتها.

---

(1) إريك فروم: ثورة الأمل، ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسة، ترجمة: مجاهد عبد لمنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2010، ص51.

(2) المصدر نفسه، ص 16.

(3) إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص ص 209 – 210.

كما أن نتائج تفوقهم المادي وظفوه في تحقيق أطماعهم الإستعمارية ويعد ذلك التفوق احد الأسباب التي شكلت فكرة المركزية الغربية، وكان ذلك من خلال عمليات الإقراض والعجز عن تسديد القرض.

لقد وفرت الثورة الصناعية الأولى يد عاملة رخيصة، وذلك كان نتيجة لحلول الآلات محل الإنساني يقول فروم" **الآلةتسلب العمل من الإنسان**"[1]، فقد اظطر أصحاب المصانع إلى الإستغناء عن نسبة هامة من العمال أو العمل نظير أجر زهيد وإستبدل الإنسان بالآلة وهذا ما ساهم في ظهور التفاوت الإجتماعي وتوسيع الهوة أو الفجوة بين العمال وأرباب العمل وظهور النمط المستغل "**حيث يسعى للتوصل لغاية بالإستفادة من أتعاب الناس واستثمارهم بالقوة والحيلة والمكر**"[2].

وذلك الإستغلال المفرط للإنسان هو ما استوجب كذلك على الفلاسفة والمفكرين من قبل التدخل من أجل توفير جو ملائم للطبقة الكادحة، والحد من الإستغلال المفرط للإنسان نأخذ عن سبيل المثال كارل ماركس وإنجلز،يقول ماركس"**الشيوعية باعتبارها التخطي الإيجابي للملكية الخاصة لاغتراب الذات الانساني، وبالتالي بإعتبارها التمنلك الحقيقي للماهية الإنسانيةمن جانب الإنسان وللإنسان، وبالتالي الشيوعية باعتبارها عودة الإنسان الكاملة الى ذاته ككائن اجتماعي**"[3]

وكان الهدف من مناهضة البورجوازية هو تحسين الأجور ومحاولة إسترجاع الوعي للإنسان أو العامل والإحساس بالذات الإنسانية يميز فيها بين الإنسان والآلة المصنعة.

"**عندما حل نظام المصانع محل الحرف الفردية فإن مثل هذا التغيير يحتمل أن يؤدي إلى إضطراب في الطبائع الإجتماعية للناس، لا يصبح التكوين القديم للطبائع مناسب للمجتمع الجديد مما يزيد من شعور للإنسان بالإغتراب واليأس وأثناء هذه الفترات الإنتقالية يصبح الفرد ضحية لجميع أنواع المزاعم والإدعات التي تهئ له ملاذ للشعور بالوحدة**" [4].

لقد كانت الثورة الصناعية سببا في إفراغ الصناعات التقليدية والحرف اليدوية من قيمتها المعنوية أو سببا في التخلي عنها بالكامل، فوجد أصحاب المؤسسات الصغرى أنفسهم في منافسة صعبة بين المؤسسات والشركات الكبرى، فقد عوضت الآلات الجديدة الأشغال اليدوية فأصبحت تقوم بنفس العمل وبطريقة أسرع وبتقديم منتجات بأرخص الأثمان مما أضطر أصحاب المهن اليدوية إلى البحث عن العمل

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 194.

[2] سيد أحمد القابنجي: مدارس علم النفس، مجلد1، ص 184.

[3] كارل ماركس: مخطوطات كارل ماركس لعام 1888، محمد مستجير مصطفي، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، د ط، د ت، ص 96

[4] أحمد الفقيه: اريك فروم الشاهد الأخلاقي على إغتراب الغرب، مجلة الإستغراب، الرباط، خريف 2015، ص 208.

في مصانع بعيدة عن منازل إقامته وهذا ما عبر عنه شيلر بأن الإنسان وقع تحت تأثير الثورة الصناعية وتشرذمت ذاته.

ثانيا: الثورة الصناعية الثانية

"إن الثورة الصـــناعية الأولى قد إتبعتها الثورة الصـــناعية الثانية وبدايتها نحن نشـــدها في الوقت الراهن وهي تميزت بحقيقة لا تقتصـــر على أن الطاقة الحية قد حلت محلها الطاقة الميكانيكية لكن هذا التفكير الإنســاني قد حل محله تفكير الماكينات، وأن الســبريقطقا أو علم الضــبط والآلية الذاتية الضــبط الذاتي مكنت من بناء الماكينات التي تعمل بدقة أكبر بكثير وسرعة أكبر بكثير عن المخ البشري"[1].

لقد تميزت الثورة الصـناعية الثانية بحلول التفكير الميكانيكي بدل التفكير البشـري، فقد حلت تلك التكنولوجيا محل الطاقة النشيطة في الإنسـان مثل العقل والذاكرة، فقد إختفى في الإنسـان صـفة النشـاط والبحث وأوكلت المهمة لآلة "**فبدلا من الشــعور بالفخر والســيادة نجد الإحســاس دائم التزايد بالعجز ولو أنه لا شــعوري على الأغلب**"[2].

فقد تميزت الثورة الصـناعية الأولى بصـفة الفخر والسـيادية غير أن الثورة الصـناعة الثانية تمتاز بصـفة العجز وكان ذلك نتيجة شـعور الإنسـان بغياب فكره وعقله، وأصـبحت هذه التكنولوجيا هي التي ترشـد توجه الإنسان إلى الأهداف.

كما أن الثورة الصـــناعية الثانية إتصـــفت بصـــفة التدميرية والعدوان ســـواء ظهرت تلك الصـــفة على الإنســان كفرد في حد ذاته من خلال شـعوره بالعجز كما أشـرنا سـابقا أو التدميرية على البشـرية جمعاء من خلال الحروب النووية والأسلحة الفتاكة فقد ألغيت أدنى مظاهر الإنسـانية أو حتى أخف الأضرار في حالة الحروب وتعتبر هذه النزعة العدوانية عند إريك فروم "**كبتا والكبت عند فروم لا شعوريا**" [3].

أما الصـفة الثانية فهي العدوانية والتدميرية على مسـتوى الطبيعة من خلال مخلفات تلك الآلة من تلويث للهواء أو مياه تلك الطبيعة مثال ذلك التجارب النووية في رقان وما خلفته من آثار تدميرية مازالت إلى يومينا هذا أثارها على البشرية والطبيعة.

---

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 52.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 209.

[3] بول أروبنس: اليسار الفرويدي: ترجمة: عبده الريس، المجلس الأعلى للثقافة، سورية، ط1، 2004، ص 15.

"فأصـــبح الفلاســـفة وعلماء البيئة والإجتماع الغربيون تجتاحهم الشـــكوك حول الإتجاه الذي تتخذه الحضارة الغربية وقيمتها" [1].

لقد أصبح الإنسان في هذه الفترة في حالة ترقب وهلع أوان صح التعبير دائما في حالة رد فعل مسبوقة وهذا ما دفع بالعديد من الشـــعوب للتســـابق لإمتلاك القوة العســـكرية التي يحتمي الإنســـان المعاصـــر من ورائها كما أن الإنسان لا يحمي نفسه ضد خطر فقدان حياة وحسب بل أيضا ضد خطر أن يفقد عقله.

ثالثا: الفرق بين الإنسان والإنسانية

"لقد جرى تعريف الإنسان على أنه الإنسان الصانع ـ صانع الأدوات ـ وفي الحقيقة فإن الإنسان هو صانع الآلات غير أن أسلافنا قبل أن يكونوا إنسانين تماما كانوا صانعي آلات وأدوات أيضا" [2]لقد استطاع الإنسان البدائي الوصول إلى صناعة الآلة أو صناعة أدوات تمكنه من حفظ بقائه أو بغرض السيطرة، وهذا التعريف يفرق بين صفة الإنسان والإنسانية بين مختلف العصور.

"يقصد بالإنسان العاقل المعرفة بمعنى التفكير الذي غرضه هو ألا يستغل بل أن يفهم" [3].

فيعرف الإنســـان على أنه ذلك الكائن الحي الذي ينفرد بصـــفة العقل والعقلانية، والذي يحاول أن يفهم كل الظواهر المحيطة من حولي دون اللجوء إلى الإســـتغلال للآخر: **"وهناك تعريف آخر للإنســـان وهو الإنسان الرافض الإنسان الذي يستطيع أن يقول لا"**[4]

فالإنســـان الرافض الكائن الذي يفرق بينه وبين الحيوان، وهي ردة فعل تكون نابعة من الإنســـان في حاله ما إذا كانت كل الظروف والظواهر التي من حوله تهدد بقائه وحياته، إذن فالإنســـان هو ذلك الكائن الحي العاقل الذي يســـتطيع أن يدرك ويعي (الوعي) ما حوله وهذه صـــفة يشـــترك فيها كل البشـــر غير أن الإنســـانية هي أن تدرك وتعي ما حولك وما يهددك ويهدد الآخر، والإســـراع المحاولة الخروج من ذلك الخطر.

"فالإنســـان هو الذي يعي ذاته ووجود وهو الذي يكون تفكيره تفكير أمل، تفكيرا مخلاصـــا من القيود متطلعا لحياة تشـــترك فيها الإنســـانية يتحقق فيها وجوده الحقيقي كفرد فاعل لا كإنســـان عادي، يبحث عن ملاذه يحاول الهروب من الحرية ويبحث عن الأمان في أحضـــان الدولة الكبيرة

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 96.

[3] المصدر نفسه، ص ص 96- 97.

[4] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 97.

والشركات الكبرى" [1] فالإنسان الوجودي بالفعل هو الذي يستطيع التخلص من القيود التي تفرضها الأنظمة الإقتصادية وغيرها من الأنظمة التي تسعى تكريس القيمنة والخضوع.

"**بينما نجد فروم والأنسانيون في الإنسان قيمة شاملة تعنى كل البشر الذي لا يمكن أن يعثروا على الإنجاز والسعادة إلا في التواصل والتضامن**"[2].

ويعني هذا أن من يصطلح عليه لقب الإنسان هو الفرد أو الكائن الذي يحمل في نفسه قيم الشمولية للإنسان جمعاء من قيم المحبة والتضامن والسلام، وهي القيم العالمية التي لا يحدها زمان ومكان "**والوصفة الطبية الوحيدة لمرض العالم هي المحبة العميقة الإنسانية والإهتمام بها**"[3].

وهذه القيم هي ممكنات التقدم الفعلي للحصول على نموذج إنساني يتفاعل فيه الإنسان مع أخيه الإنسان على نحو إيجابي.

"**والواقع أن الإعتراف بما للإمكانيات البشرية من سعة لا يستلزم حتما أن تفي عن الإنسان كل طبيعة ولو كان كل إنسان إن هو إلا ما يصنع من نفسه، وما يصنع من نفسه فحسب لما كان ثمة إنسانية ولما كان ثمة تاريخ ولما كان ثمة ثرات بشري ولما كانت هناك أية رابطة جماعية بين البشر**"[4].

إذ تتطلب الإنسانية في أسمى معانيها الإيمان بوحدة النوع البشري دون التميز والفصل بين الإجناس والأعراف.

---

[1] إريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة: محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1998، ص 11.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 20.

[3] المصدر نفسه، ص 21.

[4] زكرياء إبراهيم: مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط1، ص 13.

المبحث الثالث: إريك فروم والعقل الأداتي

لقد كانت مختلف الظواهر الطبيعية تفسر تفسيرا ميتافيزيقا لكن مع التطورات العلمية إستطاع الإنسان أن يفسر ويصل إلى كافة الحقائق للظواهر الطبيعية وكان ذلك من خلال التفكير العقلاني لكن مع التقدم العلمي والتطوير التكنولوجي لم تغادر الرؤية النفعية للإنسان المعاصر حتى على البشرية جمعاء وهو ما يصطلح عليه بالعقل الأداتي وعلى هذا نتساءل: ماهو العقل الأداتي ؟ وماهي مظاهره؟

اولا: تعريف العقل الأداتي:

"**يضع بروميثيوس بسرقته للنار أساسا لارتقاء الإنسان لم يكن ليبدأ أي التاريخ الإنساني لولا جريمة بروميثيوس، إنه يعاقب كأدم وحواء**" [1]. **لقد** إستطاع الإنسان على مر العصور تطوير معارفه وكان ذلك من لحظة سرقة بروميثيوس لشعلة المعرفة من الآلهة زيوس وإهداها للبشر فبذلك إنتقلت المعرفة من مجالها العلوي الميتافيزيقي (الآلهة) إلى العالم السفلي ليختطفها الإنسان.

"**العقل الأداتي المتمثل في التفكير العقلي والتقني السائد في المجتمع الصناعي والإدارة الحديثة بما يخدم السيطرة والتسلط وقد كانت النتيجة أن تدهر التنوير أصبح منها تغترف منه إرادة الحكم والإستبعاد وتحول العقل في التفكير الوضعي إلى أداة للسيطرة الكلية على الطبيعة والإنسان**"[2].

بمعنى أن تشكل وتكوين العقل الأداتي لدى الإنسان المعاصر كان نتيجة إنحراف العقل التنويري الفلسفة الأنوار التي جاءت مع ديكارت وهنا "**يميز فروم بين نوعين من التفكير أحدهما يتم لتلبية حاجة الإنسان إلى الإحاطة بما يحيط به من العالم والثاني وسيلة يقوم على الإستخدام البارع للمفهومات بقصد تحقيق غاية عملية**" [3] وهنا يشير فروم أن للتفكير خاصتين أحداهما هي التفكير في الموضوع المحيط من حولنا والثاني يتعلق بالإستغلال وكيفية الوصول للغاية الفردية. "**إن ملاحظة فروم أن طغيان التفكير الوسيلة التجزيئي هو العدو للتفكير الإنساني الحقيقي**" [4].

وهنا يكمن الفرق بين العقل الأنواري الذي تحرر من سلطة الكنيسة الذي كان غرضه الحقيقي هو خدمة الإنسان والتفكير من أجل الإنسانية، اما عن العقل في عصرنا الحالي "**فهو عقل تسلطي يهدف**

---

[1] إريك فروم: عن العصيان، ترجمة: يوسف نبيل، روافد للنشر، القاهرة، ط1، 2016، ص 10

[2] فيصل عباس : الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 690.

[3] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 56.

[4] المصدر نفسه، ص 58.

إلى الغاية الفردانية وإلى السيطرة والإخضاع، وتحقيق هذا السلطة لا يكون إلا من خلال المفاهيم العامة وبواسطة المجتمع والنظام في العلم والتقنية" [1].

إن العقل في فترة عصر الأنوار إكتسى طابع الحرية، وقد تخلص الإنسان من مختلف القيود التي كبلته لعقود من الزمن، إلا أن هذا العقل بعد تخلصه من تلك القيود فقد حول تلك القدرة والطاقة النشطية بداخله إلى رغبة في التسلط سواء على الطبيعة أو على الإنسان، وهو ما يشبهه فروم بحالة الإجهاض لتلك الحركة التنويرية فبعد أن كان يهيأ الظروف لإستقبال ذلك الإنسان أو المولود الجديد ذو الخاصية العقلانية المفرطة أو الإستخدام اللاعقلاني للعقل، فيمكننا تشبيه ذلك الإنسان بحالة الحيوان المفترس الذي أطلقت قيوده وتحرر من أغلاله

ثانيا: الفرق بين العقل والذكاء.

"في أغلب تعريفات الإنسان وتميزه عن غيره من الكائنات الحية أنه حيوان ناطق عاقل، فصفة العقل هي الفصل النوعي الذي يفصل الإنسان عن باقي الكائنات يقول فروم "والعقل هو ملكة الإنسان للإحاطة بالعالم بالفكر" [2].

بمعنى أن الإنسان وفي معرفته لمختلف مناحي الحياة الإنسانية ومعرفة واقعه الطبيعي وجب عليه إعمال العقل، إذا فالعقل هو الذي يقرب الإنسان من الواقع الذي نعني به معرفة المجتمع ومعرفة الصلة الإنسانية ومعرفة الخصائص البشرية الطبيعية المكملة للإنسان، والذي هو في حاجة إليها وأن يكون إشباعه لغرائزه هـ على النحو الذي يكون فيها معنى لا على النحو الذي يكون فيه إخضاع وتسلط . **"والعقل هو ملكة الإنسان للإحاطة بالعالم بالفكر المتناقضة مع الذكاء الذي هو أداة الإنسان للوصول الى الحقيقة للإحتيال على العالم بنجاح أكبر والأول إنساني في ماهيته والثاني ينتمي إلى الجزء الحيوان من الإنسان"**[3].

وعلى هذا نفهم بأن العقل هو ذلك التطور أو تلك الأهداف الإنسانية التي نسطرها ونبرمجها خدمة للمصلحة العامة بطبيعة الحال ما يضمن لنا مصلحة خاصة، وفي هذا الإطار على العكس من الذكاء الذي يعني أنه الإحتيال بإستعمال الفكر وهو ذو طبيعة حيوانية، ويمكن لنا أن نطلق على العقل صفة البيوفيليا

---

[1] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة، مرجع سابق، ص 697.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 172.

[3] المصدر نفسه، ص 172.

"وهي غريزة حب البقاء والحياة، والذكاء هي غريزة النفكيروفليا التي تعني كل ما هو مميت لا يوجد فيه تطوير وبالتالي فإن العقل يفضى بالإنسان إلى السعادة وإلى الإنسانية، بينما يقضي الذكاء في أغلب أموره إلى الألم الذي لا يرجى منه فائدة .

"إن العقلي هو كل تلك الأعمال والسلوك التي ترفد نمو البنية ونشأتها، وغير العقلي هو كل تلك الأعمال السلوكية التي تعوق نمو الكيان بنيته وتقضي عليه سواء كان الكيان نباتا أم كان حيوانا أو إنسانا"[1] وعليه أن التفكير الحقيقي هو الذي يطلعنا إلى المعرفة الحقيقية لكنه ذلك الشيء ويعلمنا عن بنيته سواء كان حيوان أو إنسانا أو نباتا.

ثالثا: الإنقسام بين التفكير والشعور:

"إن العقل يتدفق من مزج التفكير العقلي بالشعور، فإذا ما تمزقت الوظيفتان وتباعدتا فإن التفكير يتدهور إلى نشاط عقلي منقسم يالشيزوفرينيا ويتدهور الشعور إلى عواطف عصابية تدمر الحياة"[2].فليس العقل وحده الذي يساعد على البناء النفسي للإنسان، ولذلك وجب معرفة مراعاة الجانب الإنفعالي أو الجانب الخفي للإنسان من عواطف وإنفعالات .

"إن الإنقسام بين التفكير والشعور يفضي إلى مرض شيزوفرينيا مزمنة من الدرجة المنخفضة ومنها يبدأ الإنسان الجديد للعصر التيكنوقراطي في المعاناة"[3]، **وهذا** ما نجده في الدراسات النفسية أو الإجتماعية، فالباحث لا يراعى بين الظروف والإنفعالات المشتركة مع القضية المراد دراستها.

"إن الإنسان في المجتمع الصناعي المعاصر متوجهون عقليا ويشعرون قليلا ويرون الإنفعالات حصى عديمة الفائدة"[4]، **بمعنى** آخر أن الإنسان وفي محاولته للتفكير في مختلف القضايا التي تحوم من حوله ومحاولته لإدراكها والسيطرة عليها لتحقيق مختلف أغراضه وأهدافه، فإنه بذلك يستخدم عقله وذكائه ويتناسى

---

(1) إريك فروم: فن الإصغاء، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2004، ص 74.

(2) إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 73.

(3) المصدر نفسه، ص 73.

(4) إريك فروم: تشريحة التدميرية البشرية، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ج1، د ط، 2006، ص 38.

في ذلك الجانب الشعوري للإنسان من عواطف ورغبات، مما يجعل هذا التفكير في الكثير من الأحيان يفقد الإنسان معناه وفاقد لمجمل الرغبات الإنسانية مثلا الرغبة في الأمن والسلام.

"إن أرقام الإنتاج والسكان تتزايد والسيناريوهات المختلفة للحرب أو السلاح حسبما يكون الحال وهو يؤثر في العديد من القراء، لأنهم لا ينتبهون لآلاف المعطيات البسيطة التي يجمعها في الصور ذات ألوان الطيف المتغيرة بالنسبة لإتساع المعرفة أو عمق التفكير، إنهم لا يلاحظون السطحية في إستدلاله ونقص البعد الإنساني في وصفه للمستقبل"[1].

إن ما يجذب مختلف القراء في وقتنا الحالي هو تلك السيناريوهات المختلفة التي ترشدنا وتوجه عقولنا إلى المعطيات والإحصائيات عن حالة القوة والتمكن، غير منتهين في ذلك إلى جانب السلبي والذي بإمكانه أن يهدد مستقبلنا الطبيعي ولم يراعي البعد الإنساني

"**فالطلاق بين الفكر والإنفعال يقود إلى الفصام المزمن ضعيف الحدة الذي بدأ إنسان عصر التقنوالكترونية الحديد الذي يعاني منه** "[2]، فالإنسان ليس هو ذلك الكائن الحي الذي يمكننا أن نميزه على أنه حيوان ناطق عاقل وكفي، بل إنه ذلك الحيوان الناطق الذي يفكر بعقله ويملك جسما وقلبا وجب من الناحية المنطقية المحافظة عليها لضمان بقائه في حالته السوية، وتفاديا لحالة الفصام أو المرض الشيزوفريني فإن هذا الإنسان إذا ما عاش على غير الظروف التي تسمح له بتنمية قدراته واحترام إنفعالاته وأحاسسه، فذلك إذن هو الخطر الذي يهدد مستقبله ويهدد تطوره.

رابعا: الإنسان المعاصر والطبيعة:

يقول فروم "**ليس في إستطاعة الإنسان أن يحيا دون أن يسائل الطبيعة عما تخفى من معان**"[3] **لكن** حالة الذكاء عند الإنسان أصبحت تهدد كل ماله علاقة بالحياة الإنسانية، وتهدد كل ماله علاقة بالحياة الإنسانية وتهدد كل ما يعتبر مصدر للوجود الإنساني، فإن التقدم والتطور العلمي قد خلق مشاكل إيكولوجية يقول فروم " **إن علاقة الناس بالطبيعة إتسمت بالعداء الألد فنحن من نزوات الطبيعة ظروف وجودنا**

---

(1) إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 74.

(2) على عبود المحداوي وإسماعيل مهنانة، مرجع سابق، ص 199.

(3) زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مرجع سابق، ص 6.

جزءا منها"[1]، **فقد** كانت علاقة الإنسان بالطبيعة منذ الخليقة تتسم بطابع التبادل فكل منها مكمل للأخر على النحو الذي يضمن البقاء والإستمرار للإنسان.

"**إن الطبيعة تجهز الحيوان للتعامل الناجح مع شروط التراب والمناخ وما إلى ذلك من شروط أصبح متكيفا معها في العملية التطورية**"[2]،فالحيوان يعيش وفق قوانين الطبيعة التي رسمتها له ولكن عندما "**يتجاوز الحيوان الطبيعة عندما يتجاوز الدور السلبي الخالص لمخلوق عندما يصبح الحديث البيولوجي أشد الحيوانات عجزا، يولد الإنسان وعند هذه المرحلة يكون الحيوان قد حرر نفسه من الطبيعة بوضعية الإنتصاب، ويكون الدماغ قد نما إلى ما يتجاوز ما كان عليه عند أعلى حيوان ولعل ميلاد الإنسان قد دام مئات الآلاف من السنين ولكن ما يهم هو أن نوع جديدا قد نشأ متخطيا الطبيعة**"[3].

يقصد فروم أن أول تجاوز للطبيعة وخروج عن قوانينها كان عند العملية التطورية فهو بذلك يعترف بنظرية داروين التي مفادها أن كل الكائنات تتطور وصولا إلى الإنسان الذي تطور عن القرد يقول في ذلك"**وعليه أن يستأنف السير لتنمية عقله حتى يصبح سيد الطبيعة وسيد نفسه**"[4] **بما** أن الإنسان عقل ومخيلة فوجب عليه تنمية قدراته العقلية ليميز في تكيفه مع الطبيعة بينه وبين الحيوان ويحاول في ذلك أن يدرك مختلف الظواهر الطبيعية.

"**فالإنسان يتميز عن كل الحيوانات الأخرى بقدرته على أن يقول (لا) التأكيده على الحق والحب والتكامل حتى ولو كان على حساب البقاء الفيزيائي**"[5].فالإنسان هو الذي يمكنه الرفض على حد تعبير إريك فروم إن صح التعبير وكان أول إنفصال للإنسان على الطبيعة كان مع قصة الخطيئة لسيدنا آدم عليه السلام. "**كان الإنسان في الجنة متوحدا مع الطبيعة لكنه كان كالحيوان بدون وعي عن ذاته وفي فعل عدم الطاعة أمر الله ولنقل في إمكانية قول (لا)، وعي الإنسان نفسه وخطى خطوته الأولى نحو الحرية وتكون هذه أول خطوة في التاريخ الإنساني قد تكسر الإنسجام الأصلي للإنسان مع الطبيعة وطرد من الجنة**"[6]،

---

(1) إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة: سعد زهران، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1989، ص 22.

(2) إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 128.

(3) المصدر نفسه، ص 128.

(4) المصدر نفسه، ص97.

(5) إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 97.

(6) إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة: حميد لشهب، شركة نداكوم، د ط، 2013، ص 42.

فبهذا الإنفصال الطبيعي كان بمثابة حرية الإنسان بمجرد قول (لا)، فيرى فروم أن في فعل آدم هذا قد أكتسب وحقق حريته وهي ضالته المنشودة.

"أن روح العداء والإخضـاع أعمتنا عن حقيقة أن للموارد الطبيعية حدودا يمكن أن تسـتفد وأنه سـيأتي اليوم الذي سـترد فيه الطبيعة على جشـع الإنسـان"[1]، **فقد** إنتقلت العلاقة بين الإنسـان والطبيعة من علاقة تبادل إلى علاقة إخضاع وعداء.

فقد إسـتطاع الإنسـان بأحدث الوسـائل والآلات إسـتخراج الموارد الطبيعية، وكما عبر إريك فروم أنه سـيأتي اليوم الذي تنتصـر فيه الطبيعة على الإنسـان وجشـعه والطبع الإسـتغلالي ويكون ذلك كرد فعل من الطبيعة.

فقد إستطاع الإنسان بعقله وذكائه الوصول إلى أعماق الأرض من أجل إستخراج تلك الموارد الطبيعية كما أنه أحدث تغيرات على مستوى الخريطة الجغرافية للأرض مثال ذلك قناة السويس "**فقد يظهر لنا الفلاح حاليا عندما يكون يجني كإنسـان بدائي لكن الحقيقة هو أنه كان الأول الذي تجاوز التبعية المحضـة للطبيعة التي عاش فيها وبدأ بعقله وبكل ثروة الخيال الإنساني، يسيطر على الطبيعة وخلق لنفسه محيطات للعيش بدأ يبرمج ويبني وإستطاع أن يحصل على فائض عن الحاجة**"[2].

إن الطبع النيكروفيلي في الإنسـان المعاصـر أصـبح أمرا لابد منه لكي يحقق سـعادته منها التغذية مثال ذلك كان لصـيد في وقت مضـي يحقق غاية منها التغذية أما في وقتنا الحاضـر أصـبح الصـيد غاية في حد ذاته كصيد الطيور فقد أصبح صيدها من أجل الإستمتاع بصوتها ومنظرها لا وفق حياتها الطبيعية وإنما هي في حالة فقدانها لحريتها فقد أصبح سعادة الإنسان في كل شيء مميت تنعدم فيه الحركية والحرية وفق قوانين الطبيعية.

إن أداتية العقل ترى في أي موضـوع ما أنه شـيء يمكن السـيطرة عليه لغاية هي ضـمان بقائه وعيشـته الإنسـانية متحديا في ذلك كل المعيقات الطبيعية وإن هذا الإسـتخدام اللاعقلاني قد خيب ظن يرومشـيوس وهذا الفعل سيصير الإنسان إلى النقطة الأولى وسيكون مصيره في ذلك مصير كل الأنواع الأخرى.

---

[1] إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص 22.

[2] المصدر نفسه، ص 78.

المبحث الرابع: المبادئ المرشد للنظام التكنولوجي المعاصر.

إن المجتمع الصـــناعي أو المجتمع التيكنولوجي الحالي يســـير على خطى متســـارعة ومتفاوتة منتهجا في ذلك مبادئ الإنســـانية بإمكانها أن تعلن في أي لحظة من اللحظات موت الإنســـانية وعليه نتســـاءل: فيم تجسدت تلك المبادئ؟

أولا: مبدأ الحقيقة العامة

يقول فروم "الحقيقة العامة من أن شـــيئا ما ينبغي أن يتم لأنه من الناحية التقنية ممكن فعله"[1] وهذا القول كإشـارة أو كقاعدة إنطلاق، مفادها أنه حين تعلم النتائج فإنه يجب التطبيق مسـتأنسـين في ذلك على ملكة الفكر وخاصية المعرفة والإبداع.

"فإن كان عملنا على إســـلحة نووية فيجب أن يتم هذا إذا كان ممكنا لها أن تدمرنا جميعا فإذا كان ممكنا السفر إلى القمر وإلى الكواكب فيجب أن يتم هذا لو كان هذا على حساب إحتياجات عديدة لم تتحقق على الأرض"[2]**، إن الإ**ســـتعمال اللاعقلاني للعقل لم يراعي في تطوره وإبداعاته الجانب الإنســـاني والغرائزي على مســـتوى الطبيعة الإنســـانية، وهذا ما تثبته المجتمعات المعاصـــرة التي تطمح أو تهرع إلى التسلح التيكنولوجي على حساب الإحتياجات البشرية، وكل هذا في نظر إريك فروم هي حاجيات زائلة لا معنى لها ولا تخدم الإنســـانية بقدر ما تضـــرها، وهو ما عبر عنه بالفائض عن الحاجة "**مجتمع فائض عن الحاجة بإمكانه تنظيم رحلات إلى القمر**" [3].

فلو طرحنا سؤلنا هنا لكان على نموذج الرواقين هل عشنا في وفاق مع طبيعة؟ وهل ملأنا أرضنا محبة وسلام؟ وهل حققنا تلك السعادة البشرية المنشودة منذ الخليقة من طرف الإنسان بالقدر الكافي الذي يمكننا من البحث عن حياة خارج الأرض؟ وما مصـــير القمر أو المريخ إذا تحقق فعلا صـــعود واســـتوطان البشـــر على ظهرها؟. فقد إشـتغل الإنســان المعاصـر بفائض من الحاجة وكان ذلك نتيجة حتمية لمبدأ الحقيقة العامة الذي ينطلق عن مقدمة "أنه يكون لأنه بإمكاننا" "**فالعلم اليوم أصبح خادما لآلة الحرب**[4]".

---

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 63.

[2] المصدر نفسه، ص63

[3] إريك فروم: الإنسان المستلب آفاق تحرره، مصدر سابق، ص 88.

[4] رشيد حاج صالح: الإنسان في عصر ما بعد الحداثة، دارة الثقافة والإعلام، الشارقة، د ط، 2013، ص12

ثانيا: مبدأ الكفاية والإنتاج:

أ. الكفاية:

"إن مطلب الكفاية بأكبر قدر يقضـــى بالتالي إلى تطلب الفردية في أدنى مســـتوى، وأن الآلة الإجتماعية تعمل بمزيد من الكفاية ومن هنا يأتي الإعتقاد بأنه إذا ما إنقســـم الأفراد إلى وحدات كمية خالصة حيث يمكن لشخوصهم أن يعبر عنها على بطاقات مثقوبة". [1]

"هذا يعني أن مدراء الشـــركات الكبرى يعمدون إلى تقســـيم العمال والأفراد داخل الشـــركة إلى مجموعات ويتم اختزال تلك الشـــخصـــية العاملة إلى بطاقة مثقوبة تتضـــمن الإســـم والفصـــيلة التي ينتمي إليها والهدف من هذا هو" إدارتهم بســـهولة أكبر بقواعد بيروقراطية نظر لأنهم يســـببون متاعب ولا يخلقون إنقســـاما"[2]، إن هذا التقســـيم في حد ذاته هو اختزال للشـــخصـــية الإنســـانية بهدف قتل روح الإبداع او انها كأسلوب في حد ذاتها نقول سياسة فرق تسد. **"وهناك ممارسة عامة أخرى في تنظيم العمل هي المحو الدائم لعناصر الإبداعية وهذا يتضمن عنصر مخاطرة أو زعزعة وعدم اليقين"** [3].

إن هذا الحقيقة لا يراعي فردانية الإنسان **"قد يؤدي به إلى الضياع الداخلي ويؤدي به إلى قتل روح التفكير والإبداعية وبإنتصار هذا المجتمع الجديد سوف تختفي الفردانية والحياة الخاصة"** [4].

كما انه لا يرفض ذلك المبدأ رفظا مطلقا الا أنه يقيدها بشـــروط **"إن الكفاية مرغوبة في أي نوع للنشـــاط الغرضـي، ولكن يجب إعتباره في إيطار الأنظمة الأوسـع والتي يكون النظام موضـع دراسـة وليس لأجزاء يجب أن ندخل في الإعتبار العامل الإنساني داخل النظام"**[5]، **بهذا** نفهم أن عنصر الكفاية والتقسيم مطلوب في المؤسسات الإقتصادية ولكن بشرط مراعات الجانب الإنساني والظروف الخاصة للعمال ويكون التقسيم

---

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 64.

[2] المصدر نفسه، ص64.

[3] المصدر نفسه، ص 66.

[4] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة، مرجع سابق، ص 535.

[5] المصدر السابق، ص 67.

على حســـــاب الإهتمـامـات والإبـداع وإن العكس من هـذا كلـه قـد يؤدي "**إلى تعليقـات مثـال نحن بشر**"[1]، وهذا التعليق هو السبب المؤدي لتدخل المفكرين والفلاسفة للحد من هذا التعسف.

ب.مبدأ الإنتاج:

"**يذهب هذا المبدأ إلى أنه كلما زدنا في إنتاج مهما يكن ما ننتجه كان هذا أفضـــل وأن نجاح إقتصـــاد لبلد إنما يقاس برفع إنتاجه الكلي**"[2]، **إن** الشـركات الإقتصـادية الكبرى في عملية الإنتاج لا تهتم بالكيف وإنما تهتم بالكم وفقط وهذا ما سيحيلنا إلى مشكلة إنسانية سنحاول عرضها في الفصل الثاني.

يعتبر ماركيوز من بين فلاسفة مدرسة فرنكفورت هو أحد هؤلاء الفلاسفة إهتماما بهذه الظاهرة ظاهرة الإنتاج ـفي وصـفه لمرض العصـر قائلا "أن التشـخيص الحقيقي لمرض العصـر الحديث هو أن الإنسـان يعيش فيه متلهفا على الإنتاجية الزائدة "[3]**إن** الإنســان في المجتمع المعاصــر المجتمع الصــناعي أصــبح في حالة تحير من أمر أمام الإنتاجية المتزايدة، وأن الشـركات العالمية أصـبح كل همها هو الإنتاج هو الذي يؤدي إلى الغرض الإنساني والقاعدة في ذلك"**كلما كان أكثر كان هذا أفضل**"[4].

ثالثا: فروم ونقد الرأسمالية:

في نضر فروم فإن النظام الرأسمالي هو من يحتضن تلك المبادئ يقول في ذلك "أن أخطر أعراض النظام الرأسمالي هو إنتاج الأسلحة المدمرة التي تهدد مصير الإنسان بالتدمير"[5]، وهو يعني في هذا أن النظام الرأسمالي يســـعى إلى مبـدأ الحقيقـة العـامـة ويســـعى من خلالهـا إلى إكتســـاب الأســـلحـة المـدمرة للبشـــريـة هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن النظام الرأسمالي قد كان من بين اهتماماته هو الزيادة في الإنتاج يقول إريك فروم في ذلك "**أن الرأسمالية حررت الفرد من قيوده القديمة ولكنها كبلته بقيود جديدة كقوة رأس مال والســوق**

---

(1) إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 66.

(2) المصدر نفسه، ص 67.

(3) فؤاد زكريا: هوربت ماركيوز، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2005، ص 40.

(4) المصدر السابق، ص 68.

(5) فيصل عباس، الفرويدية ونقد الحضارة، مرجع سابق، ص 535.

لقد كان رأس مال في النظام الموجود في العصر الوسطى خادم للإنسان لكنه أصبح في النظام الحديث سيجده[1]".

فقد أصبح الإنسان في هذا النظام وسيلة لغاية في حد ذاته بعدما كان النظام الرأسمالي في القديم هو غاية لخدمة الإنسان والإنسان في الرأسمالية مطالب بتنمية رأسمال السيد ـرب العملـ وفقا لمقتضيات السوق.

"**بما يزيد الشك في الرأسمالية المعاصرة هو أخطار الحروب والإنذارات على الجبهة البيئية وجرائم الحرب الشعبية التي إرتكبتها الولايات المتحدة الأمريكية في أفغاستان والعراق**[2]"وقد يكون هذا الاستعمار مباشرا أو غير مباشرا من خلال جلب الشركات الكبرى والإحتكارية.

إن ما تم التطرق إليه في هذا الفصل هو التعريج على مختلف التحولات والأسباب التي طرأت على العالم الإنساني والمجتمع الأوربي بصفة خاصة ومن بين أهم هذه الأسباب الثورة الصناعية وتشكل العقل الأداتي فقد عززت الثورة الصناعية الأولى والثانية دعائم السيادية والتسلط وتنامي الطبقية بين الشعوب، وأصبح هم الإنسان في المجتمع المعاصر هو الإنتاجية الزائدة.

ويعتبر العقل الأداتي أحدى المظاهر التي طبعت مجالات الحياة في المجتمع الصناعي المعاصر كما أنه يحمل في مجملها إلى السيطرة على الإنسان والطبيعة لا يرفض فروم إبداعات العقل والتكنولوجيا بقدر ما يرفض أن تتحول تلك الأداتي لخدمة السيطرة على الإنسان، فما يد حوله وأحد رواد مدرسة فرنكفورت النقدية إلى محاولة التوفيق بين تلك الأدوات والغايات الإنسانية وأن يتم الإنسجام بين التفكير والشعور .

إن هدف فروم في نظرته النقدية هو الخروج بالإنسان من ظلمات التسلط والإستغلال إلى عالم تسوده الإنسانية وهذا هو القاسم المشترك بين فروم والفكر الماركسي المناضل ضد الإستغلال الإنساني الذي تفرضه الأنظمة الإقتصادية بالدرجة الأولى.

"**لقد أصبحت القيم السائدة الآن والمؤثرة حقا في سلوك الإنسان هي القيم التي يفرزها النظام الإجتماعي القائم في المجتمع الصناعي البيروقراطي مثل قيم الملكية والإستهلاك واللهو والمكانة الاجتماعية والنجاح**"[3]، **وهنا** تظهر مختلف التحولات التي اتسم بها الإنسان المعاصر والتي نحاول عرضها في الفصل الثاني.

---

[1] فيصل عباس:الفرويد ونقد الحضار، مرجع نفسه، ص 533.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 9.

[3] حسن حمادة، مرجع سابق، ص 43.

الفصل الثاني

مشكلة الوعي لدى الإنسان المعاصر

المبحث الأول: الإنسان والتسلط التقني

المبحث الثاني: النزعة التجريدية لدى الإنسان المعاصر

المبحث الثالث: كينونة الإنسان المعاصر.

تمهيد

لقد سادت في الحضارة الإنسانية بالعصور الوسطي حالة من الجهل والجمود الفكري، نتيجة لسيطرة الكنيسة ما دفع بإنسان هذا العصر الى البحث عن حقيقته وكينونته والتخلص من كل تلك العقبات التي تحول دون ادراك الذات الإنسانية ،فلم يجد ديكارت وجوده الا في عقله وتفكيره فربط الوجود بالتفكير، وهذه الخاصية هي التي طبعت الحضارة الإنسانية في ذلك العصر ،غير أن ما يلاحظ علي الإنسان المعاصر هو العكس من ذلك فقد افتقد فيه الوعي وخاصية التفكير وربط وجوده بعالم زائف وأشياء فانية ووهمية وعلي هذا نطرح تساءلنا :ماهي المظاهر الدالة علي غياب الوعي لدي الإنسان المعاصر ؟

المبحث الأول: الإنسان والتسلط التقني

لقد حظي موضوع العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا الاهتمام البالغ، وكان ذلك مع تزايد المد التكنولوجي في الحياة الإنسانية المعاصرة، فتعرف التكنولوجيا أو التقنية على أنها المجال التطبيقي للمعرفة العلمية أو النواتج التطبيقية للمعرفة، وعلى هذا نقول ماهي مظاهر التسلط التقني على الإنسان؟

أولا: الإنسان الآلي

إن ما يبعث على القلق في النفس الإنسانية ليس ذلك التطور والاستخدام الإيجابي لتلك التقنية، وإنما هو الاستغلال السلبي اللاعقلاني للتكنولوجيا والتأثر الإنساني الشديد بكل ما هو تقني، فأصبح كل ما هو تقني صادر عن التقنية هو موضوع إطمئنان وثقة، فبعد أن كان الإنسان هو الذي يشكل هذه التكنولوجيا ظهر العكس من ذلك وأضحت الآلة هي التي تشكل الإنسان فتغيرت تلك العلاقة التي كانت تجمع الإنسان بآلته فمن سيد على الآلة إلى عبد لها.

يقول فروم "ونصادف اليوم شخصا يعمل ويشعر كالإنسان الآلي"[1]، فلا يتحرك هذا الإنسان وفق إرادته أو وفق خياراته بل يتحرك وفق مخططات وبرمجيات تلك الآلة، وصارت التيكنولوجيا من بين أساسيات حضارة المستقبل وعاملا من عوامل تصنيف الشعوب، فالتقدم التيكنولوجي للصين واليابان شفع لها أن تكون في مصاف الدول المتطورة، وهذا ما زاد في إرتباط الإنسان بالتكنولوجيا.

ولا نعني بالإنسان الآلي ذلك الرجل الآلي الذي يصنع في الشركات العملاقة بل نقصد به ذلك الرجل الآدمي الذي يجري في عروقه دم وله قلب ينبض وعقل، غير أنه تم تخذير كل من المحركين الفاعلين من قلب وعقل، فغابت فيه النزعة الإنسانية وأصبح يميل إلى ما هو تدميري "**نيكروفيلي**" ويقصد في إتجاهاته لكل طريق هو له فيه مصلحة خاصة حتى ولو كان ذلك على حساب البشرية جمعاء.

وما يدلنا على حقيقة الإنسان الآلي في العصر المعاصر هي تلك التمظهرات الدالة على ذلك من حلول الآلة أو التقنية محل الجسم الإنساني أو العضو الإنساني "**والآلة التي نشيدها أصبحت من القوة أنها طورت برنامجها والذي يحدد الآن التفكير الخاص للإنسان**"[2].

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 120.

[2] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 14.

فبعد أن كان الإنسان يعتمد في تفكيره على جوهرة المتمثل في العقل أصبح يعتمد في تفكيره على القرارات الصادرة عن تلك التقنية، ويدار بالكمبيوتر أو إن لم نقل قد إستبعد العقل الإنساني من خاصية التفكير، وأوكلت المهمة لتلك الآلات.

يقول فروم "**فالتقنية اليوم أدت إلى سيطرت الإنسان على الإنسان وحولته إلى مجرد آلة تابع للشركات الكبرى**"[1]، ففي بادئ الأمر طور الإنسان تلك الآلات والإختراعات بغية التخفيف عنه من الأعباء والأثقال،

غير أنه ومع التقدم والتطور السريع للعلم إنقلبت تلك الآلات من وسيلة لغاية إلى غاية في حد ذاتها، وفي ظل هذا التطور المذهل صار الإنسان مجرد ترس فيه آلة كبيرة، مسلوب الإرادة والهوية في عالم مادي يسير نحو تحقيق أقصى الغايات المادية" **ومعظم الناس لا يزالون يفكرون بمفاهيم مجتمع أول ثورة صناعية، إنهم يرون أن لدينا ماكينات أكثر وأفضل عما كان لدى الإنسان عند خمسين عاما، يعتبرون هذا التدهور تقدما، إنهم يعتقدون أن تقصى الإضطهاد السياسي مباشر وعلامة على تحقيق الحرية الشخصية**"[2]، ففي إعتقاد هؤلاء أن إمتلاك أكثر وأكبر الماكنات هو تعبير عن روح الحضارة والتقدم غير أنه في نهاية المطاف يقضى إلى العكس من ذلك يقول فروم "**وإن رؤيتهم لعام (2000) هو أنه سوف يكون التحقق الكامل لأمال الإنسان منذ نهاية العصور الوسطى، وهم لا يرون أن عام (2000) قد لا يكون عام الإنجاز والذروة السعيدة لحقبة ناضل فيها الإنسان من أجل الحرية والمادة، لكن بداية حقبة فيها يكف الإنسان عن أن يكون إنسانا وأنه قد تحول إلى آلة لا تفكر ولا تشعر**"[3]، وهذا ما يظهر في النزعة التدميرية والعدوانية للإنسان.

---

(1) هابرماس يورغن: عن التقنية والعلم كإيديولوجية، ترجمة إلياس حاجوج، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، د ط، 1999، ص 97.

(2) إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص ص 55-56.

(3) المصدر نفسه، ص 56.

ثانيا: التقنية والتدميرية لدى الإنسان.

إن الجشع والرغبة في بسط النفوذ والسيطرة هي أحدى الصفات للإنسان المعاصر في عالم التطور التقني كما أن الجشع والطمع أحد الأسباب والدوافع العدوانية يقول فروم "**الجشع على المستوى التاريخي هو أحد أكثر أسباب العدوان تكرار ومن المحتمل أنه حافز للعدوان الوسيلي قوى قوة الرغبة فيما هو ضروري موضوعيا**"[1]، فنجد أن عالم التقنية قد ساعد الإنسان المعاصر بشكل كبير في إبراز واحدث مظهر السادية* "يقدم فروم تحليلا لأحلام النيكروفيلين ولغتهم وأعمالهم المقصودة، وللصلة بين التيكروفيليا وعبادة التقنية والظروف العائلية، وهي صلة وثيقة تمكن الإنسان من تحقيق ساديته وتكسبه مهابة يقول فروم" **إننا مهددون بالفناء من جراء السلبية التي يولدها إستبعادنا من إتخاذ القرار المسئول**"[2].

لقد انسلخ الإنسان الحديث من إنسانيته وتجرد من كل قيم الإنسانية من محبة وخير وسلام، منشدا في ذلك قيم بديلة ومخالفة ذات نزعة مادية، وكان ذلك من خلال بحثه الدائم عن الحقيقة العلمية العامة التي يهدف من روائها لتحقيق السيطرة، وكان قد إتخذ في مبدأه ذلك شعار" **أنه ممكن لأنه من الناحية التقنية ممكن**"[3]، وبذلك يكون الإنسان المعاصر قد فقد كل ما يربطه بالحياة وانجذب نحو كل ما هو مميت وما هو مدمر، فيمكن للإنسان الحديث أن يقتل الملايين من البشر من خلال كبسة زر حتى ولو كان من وراء المحيطات والأنهار، حيث يعتمد قادة الحروب على تلك القرارات والخطط التي تعلنها الكومبيوترات وهي خطط أو إستراتيجيات تغيب فيها أخف الأضرار في ساحة القتل ويذهب جراء ذلك التخطيط الأعمى للآلة الجهنمية أفراد عزل.

" إن الاعتماد الأعمى واللاعقلاني على قرارات الكمبيوتر يصبح خطرا في السياسة الخارجية وكذلك في التخطيط الإستراتيجي عندما يتم هذا من جانب الخضوع"[4].

---

[1] إريك فروم: التشريحة التدميرية، مصدر سابق، ص11.

* **السادية:** يعني الشغف بإمتلاك السيطرة المطلقة وغير المحدودة على كائن حي، انظر، المصدر نفسه ،ص ص 11- 12.

[2] المصدر نفسه، ص 16.

[3] إريك فروم: ثورة الأمل: مصدر سابق، ص 14.

[4] المصدر نفسه، ص 85.

فالتسليم بصدق تلك القرارات والتسرع في تنفيذها هو ما يؤدي في أغلب الأوقات إلى مشكلات أعمق في معظم الحالات، ويبقى تساؤلنا في ذلك هو: هل يمكن لتلك الآلات المدمرة الموجهة للقرارات أن تراعي في خططها وأهدافها الجانب الإنساني من حقوق وكرامة؟ وهل يمكن لها أن تتطلع على الجانب الخفي في الإنسان من أحاسيس وعواطف؟ .

يقول فروم "وسواء أكانت المسألة مسألة قتل مئة ألف إنسان في درسدن "**أم في هيروشيما أم تخريب فيتنام أرضا وشعبنا، فليس من واجبه أن يقلق بشأن التبرير العسكري والأخلاقي للأوامر فمهمته الوحيدة هي أن يخدم آلته كما ينبغي** "[1] فأصبح الإنسان عبدا مطيعا لأوامر آلته لا يهمه في ذلك سوى تحقيق مآربه وهذا ما سعى إليه أغلب الديكتاتورين مثال ذلك هتلر وستالين ولينين وغيرهم من الأنظمة الفاشية، فنجد مثلا لينين يقول" **إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء أنما الشيء الهام هو أن يصبح الربع الباقي شيوعيا** "[2]، ففي نظر هؤلاء أن كل الطرق متاحة لأجل تحقيق الفكرة وأن الغاية تبرر الوسيلة.

فيري فروم الناس في المجتمع الصناعي المعاصر متوجهون عقليا يشعرون قليلا ويرون الإنفعالات عديمة الفائدة، ويميز فروم بين نوعين من العدوان مختلفين عن بعضهما البعض، أحدهما يتصل بالطبيعة البشرية وهو ملائم لها، والآخر يغيب عن التطور البشري يقول في ذلك"**وفي هذا الكتاب أطلقت مصطلح العدوان على العدوان الدفاعي الإستجابي والذي أدرجته تحت العدوان الغير خبيث، لكنني أطلقت التدميرية والبطش والقسوة وهما على وجه التخصيص النزوع البشري إلى التدمير وإشتهاء السيطرة المطلقة العدوان الخبيث**"[3]، فالأول هو كردة فعل من الإنسان أو الحيوان إذا ما عاش على ظروف غير ظروفه وإذا ما تم تهديد مصالحه الحيوية التي يحفظ بها بقائه ونماءه.

أما الثاني فهو عدوان تدميري يهدف إلى السيطرة والاحتواء يتخذ في ذلك كل أساليب البطش"**ومهما يكن فالإنسان يختلف عن الحيوان بأنه قاتل والإنسان هو الوحيد من فصيلة الرئيسات الذي يقتل ويعذب أعضاء نوعه من دون أي سبب سواء أكان بيولوجيا أو إقتصاديا**"[4]، وهنا يمكن وصف العدوان الخبيث التدميري للإنسان على أنه رذيلة إنسانية مدمرة للحياة والنمو البشري للجسم والروح.

---

[1] إريك فروم: التشريحية التدميرية البشرية، مصدر سابق، ص 17.

[2] الشيخ صالح المنجد: مبدأ الشيوعية، موقع الإسلام سؤال وجواب، السعودية، العدد 166104 نشر بتاريخ 2011/05/26.

[3] المصدر السابق، ص 32.

[4] المصدر نفسه، ص 40.

وقد إزداد القلق من هذا العدوان عند فروم "لأنه إبن الحربين العالمين وإبن الجو المترقب للحرب النووية طوال الستينات والسبعينيات من القرن العشرين، وإبن الحروب أواخر القرن العشرين التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية على بقاع مختلفة من العالم وإبن العصر الديكتاتورية الشيوعية والفاشية"[1].

ثالثا: الصنمية وغياب الحرية:

لقد أفرزت الحروب نوعا من الإستلاب والخضوع في النفس الإنسانية وجعلت منه فردا مغلوبا على أمره يسير في قطيع من البشر المنقادين لتحقيق أهداف غيرهم أو تحقيق قرارات لا تحمل في طياتها جانبا من الإنسانية وهذا ما يظهر في ذلك، "**ليس المقصود بالصنمية هنا المعنى الديني فحسب ذلك الذي يعني أن الإنسان يعبد آلة بدلا من إله واحد، بل المقصود بالصنمية كل ما يصنعه الإنسان من أشياء يركع لها ويعبدها على الرغم من أنه صانعها، فالأصنام الحديثة كما يراها فروم يمكن أن تكون الدولة أو النظام السياسي أو الزعيم أو اللغة**"[2].

فلطالما إرتبط مفهوم الصنمية أو الأصنام بثقافة الشعوب البدائية والحضارات السابقة، كالحضارة المصرية والحضارة الهندية وغير بعيد عنا نجد للحضارة العربية إرتباط وثيق بهذا المفهوم، وكان ذلك أيام الجاهلية فكان العرب في الجاهلية يعكفون على أصنام هي من صنع أيديهم.

فقد كانت تلك الأصنام بإختلاف تسمياتها وبيئاتها تمثل لكل تلك الحضارات بمثابة قوى خارقة وهي تحمل في غياهيبها مفاتيح الخير والسلامة، يتودد إليها الإنسان قصد إستخلاص النجاة، تقدم لها أفضل وأشهى المأكولات للتعبير عن مدى الوفاء والإخلاص، غير أنه ومع نزول الرسالات السماوية والفتوحات تغيرت تلك النظرة في الكثير من الحضارات خاصة منها الحضارة العربية الإسلامية التي وجهت عبادتها إلى رب السماوات والأرض والعلة الأولى على حد تعبير أرسطو المحرك الأول الذي أوجد كل شيء.

لكن في العصر الحالي تحددت تلك العبادات الصنمية وظل الصانع للإله هو نفسه الإنسان، عبد وسلم بقدوراته إلى شيء هو من صنعه، يحمل في نظرته قرارات تغيب عنه، يحمل القدرة والإستطاعة التي تغيب عنه متمثلة في الآلات الضخمة منها والصغيرة.

---

[1] رشيد صالح: مرجع سابق، ص 36.

[2] حسن حمادة، مرجع سابق، ص 60.

كما أنها تجسدت فكرة الصنمية لدى الإنسان المعاصر في مختلف الأنظمة السياسية والديكتاتورية، فبالرغم من أن الإنسان هو صانع ومشكل تلك الأنظمة السياسية إلا أنه في الأخير يجد نفسه رهينة لتلك الأنظمة وخير مثال على ذلك ما تجسد مع ستالين وهتلر "**فالزعيم أو الدولة يصحبن صنمين عندما يسقط عليها الفرد كل قواه ويعبدها أملا أن يستعيد بعض قواه بالخضوع والعبادة**"[1]، فيجعل الإنسان نفسه كقربان لذلك النظام الذي هو في غالب الأمر من صنعه وتزكيته، فيدافع عنه ويشن الحروب التي هي في نهاية الأمر سوى مصالح ذاتية لأنظمة سادية تهدف إلى التجذر ونيل الشهرة، أما الفرد المغلوب على أمره فيكون هدفه من فعله هذا هو نيل رحمته وهذا ما جسدته الأنظمة الشمولية" **إن هذا الدعم الذي وصل حد عبادة ستالين وهتلر لم يكن عشوائيا بل سبقه تنظيم محكم وتحضير متواصل للشعوب من خلال وضع خطة إعداد تمثلت في إختزال كل طبقات المجتمع ومسخ ملامحة وبعبارة أخرى سبقه قيام بعملية تفريغ إجتماعي سياسي كبداية أولية لنمو الحركة التوتاليتاية نتج عنها ما يسمى بالجمهور**"[2].

فيصبح الفرد وتحركاته داخل هذا النظام كأنه خروف في قطيع غنم ينقاد بإتجاه الخطوط التي رسمتها الأنظمة بمعنى آخر يسير في إتجاه الجماعة، يكفيه في ذلك أن لا يثير سخطه وتذمره وأن يكون موضعه أو مصيره موضع الجماعة أو الحشد ولا يتحرك في ذلك من صميم إرادته بل من أوامر خارجة عنه، وفي حالة تسليم الإنسان بقدراته وإمكانياته لتلك الاصنام فإن مصيره هو العجز " **فهناك جرائم وأعمال عدوانية كبرى تشن بحجة الدفاع عن الشرف أو الوطنية بينما هي في الحقيقة الأمر تشن لتحقيق مصالح إقتصادية لفئات محددة**" [3]".

رابعا: غياب الفردانية في ظل النظام الآلي.

"كان الإنسان العصري يتمنى أن يصبح فردا لكنه أصبح في الحقيقة ذرة خائفة يقذف بها هنا وهناك [4]"، يتوق الإنسان في المجتمع المعاصر إلى نيل حريته وإبراز ذاتيته كفرد فعال لا ككائن خاضع يتحكم في مصيره "**إن الإنسان نفسه قد تحول إلى جزء من الآلة كاملة، فهو يتغذى على نحو ما يرام وتجرى**

---

[1] حسن حمادة، مرجع سابق، ص 128.

[2] خديجة زيتلي: مرجع سابق، ص 112.

[3] رشيد حاج صالح، مرجع سابق، ص 25.

[4] إريك فروم: حب الحياة، ترجمة: حميد لشهب، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، سبتمبر 2016، ص 68.

تسليته هكذا أيضا ومع هذا فهو سلبي وغير حي وليست لديه إلا مشاعر واهنة، ومع إنتصار المجتمع الجديد فإن النزعة الفردية والخصوصية سوف تختفيان" [1].

وقد كان هدف الإنسان منذ الخليقة بدءا بآدم إلى الإنسان الحديث هو التعرف على الحرية الإنسانية وقد خاض في سبيل تحقيق ذلك الكثير من الثورات سواء كانت إقتصادية أو فكرية أو إجتماعية، فنجد الثورة البرولتيارية هي ثورة في مجالها الإقتصادي، وحتى الفلسفة التنويرية أو فلسفة الأنوار التي كانت مع كانط هي ثورة فكرية ثقافية في مجملها، كان الهدف منها هو الخروج من القصور العقلي وحالة الجمود الفكري وإسترجاع سيادة العقل والفكر من هيمنة الكنيسة والتحرر من كل القيود والروابط التي من شأنها أن تعيق مسار تقدمه.

"**إن التنازل على التلقائية والفردية يقضي إلى إنحراف الحياة من الناحية السيكولوجية، إن الإنسان الآلي بينما هو حي بيولوجيا هو ميت إنفعاليا وذهنيا بينما يقوم بحركات الحياة فإن الحياة تنساب من بين يديه كالرمال**" [2].

إن التقدم التكنولوجي كان أحد أسباب تزايد النزعة التدميرية والعدوانية للإنسان المعاصر وهذا ما جعله يفقد معنى الحياة واللذة فيها، وهذا الوضع جعل الإنسان يعيش ويشعر في نفسه حالة من التدجين وإنعدام القيمة الإنسانية.

"تنهض سيكولوجية فروم أساسا على فكرة أن الحياة الحديثة في ظل المدينة البورجوازية فقدت الكثير من معانياها ومغزاها لأن الناس ضحوا بأنفسهم من أجل الآلة أو التكنولوجيا وإستعبدتهم الآلة وجهاز الدولة"[3].

إن الإنسان الحديث بالرغم من الرفاهية التي يعيشها إلا أنه يعيش في حالة من العزلة والقلق يسير في إتجاه يغيب فيه الهدف" **إننا نفشل في تبين الخطر الذي يهدد حضارتنا من أساسها الإنساني الإستعداد لتقبل أي إيديولوجية وأي زعيم إذا ما وعد فحسب بالإثارة وقدم بناءا أساسيا ورموز تعطي معنى وتضن ما إستعاريين الحياة الفرد أن يأس الإنسان الآلي Human automédon هو أرض خصبة لأغراض السياسية الفاشية**" [4].

---

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 13.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، مصدر سابق، ص ص 203، 204

[3] فيصل عباس: التحليل النفسي والإتجاهات الفرويدية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996، ص 126.

[4] المصدر السابق، ص 204.

فالإنسان في العصر المعاصر أو العصر الصناعي قد وجد نفسه في حالة تفويض وتسليم بكل خصائصه الإنسانية وفردانيته إلى نظام آلي أو سياسي، ويعيش بنوع من الإتكالية والسلبية في أغلب الأوقات والأوضاع "**ومع وجود الديكتاتورية الحكم الإستبدادي كان تفريط الإنسان في شخصيته وفردنيته وإنسانيته وتكامليته** " [1]، وفي هذه الحالة يجعل الإنسان متطلباته كلها تتوجه نحو تحقيق الأمن الذي يحفظ فيه جسده وفي هذه الحالة يمكن وصف هذا النظام بمركز حفظ الجثت التي يحفظ فيه الجسد في غياب الروح والنفس الإنسانية.

"**فالإنسان الحديث يبدو أن عنده رغبات عديدة ومشكلته الوحيدة هي أنه بالرغم من أنه يعرف ما يريد فإنه لا يحصل على ما يريد**" [2]، وأكبر رغبة يطمح الإنسان الحديث إلى الوصول إليها هي الإستقلالية التي تعبر عن ذاتيته، لكنها إصطدمت تلك الرغبات والآمال بنظام قمعي تسلطي ينفي كل جهود الإنسان التي تحاول أن تبدع وتفكر وتخلق جوا إنسانيا.

---

[1] فيصل عباس: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، مرجع سابق، ص 126.

[2] إريك فروم: الخوف من الحرية، مصدر السابق، ص 201.

المبحث الثاني: النزعة التجريدية عند الانسان المعاصر

يعيش الإنسان المعاصر في دوامة من التوجس والقلق، وفي حالة من المتغيرات التي طرأت على علاقاته الإنسانية، فقد تبخرت أحلام عصر الأنوار والحداثة الأوربية التي كانت تطمح إلى جعل الإنسان مركز العالم وإعطاء العقل الإنساني الأولوية في الحياة المعاصرة، وتعد النزعة المادية والتجريدية من بين تلك المتغيرات التي طرأت على الانسان المعاصر، فما مظاهرها؟، وفيما تجلت؟

أولا: الإنسان الكمي التجريدي

فقد تولد عن عقلانية الإنسان الزائدة، مجتمع لا إنساني تدميري يميل إلى النزعة التجريدية والكمية "**أصبحت الأبعاد التي تتعامل بها هي الأرقام والتجريدات ولم تعد تحكمنا الأبعاد الإنسانية خاصة مع تطور وسائل التدمير الحديثة**" [1] فقد إستبدلت تلك التغييرات التي تشمل جانبا من الإنسانية بتغيرات يعبر عنها بلغة رياضية، فتغيرت المعايير التي تحكم بها في وصف عمل ما أو أي إنسان، فلم يعد ينظر إلى الإنسان إلا من خلال نفعيته في اختصاص ما أو أنه مطابق لذلك المجال وما يطرحه من نتائج كمية عليه.

"**إن معايير النظام الصناعي هو حصيلة التكميم والمحاسبة والسؤال المطروح دائما ما هو جدير بالعمل؟**"[2]، فحتى في حالات الحرب والمعاناة الإنسانية لا تعلن حالة القلق ولا تدق نواقيس الخطر إلا بعد تلك الأرقام والنتائج التي تعلنها الهيئات الرسمية، فمثلا لا نقول أن هناك كارثة إنسانية إلا إذا كانت ثلاثة أو أربع أصفار بعد العدد.

يقول فروم "**وإستطاع حتى قياس الكمي والتجريدي إلى موقف الإنسان من الأشياء ومن الناس وحتى من نفسه**" [3]، فيمكننا مثلا أن نقول أن أكثر من 70% من الشباب يميلون وينجذبون إلى اللباس العصري، أو نقول مثلا أن أكثر من 80% من المجتمع السوري يرفضون هذا النظام، ولا يمكننا أن ندرك قيمة الجمال في شيء ما إلا إذا أدركنا مدى رواجها في الأسواق والتعاملات وثمن ذلك الشيء وقمته يعبر عنها نقدا.

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر السابق، ص 230.

[2] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق التحرر، مصدر السابق، ص 46.

[3] المصدر السابق، ص 224.

فقد أصبح الإنسان في المجتمع الصناعي المعاصر على حد وصف إريك فروم رقما وأصبح يقاس عدديا، ينظر إليه بعدد النتائج التي حققها حتى أنه يمكننا أن نتنبأ بنتائجه مسبقا، فمثلا لو طلب إنسان عمل في شركة لقابله صاحب العمل أو مدير الشركة بسؤال يحمل في مضمونه عدد النتائج التي يطرحها أو عدد الخدمات التي يمكن أن يديرها، فيمكننا أن نشبه الإنسان المعاصر على أنه في ملعب عالمي لا يعرف في الوسط الرياضي إلا من خلال عدد الأهداف التي سجلها.

فالكمي والتجريدي هي من مغريات هذا الإنسان الحالي التي تزيد من لهفته **"فالأمريكي hernan kahra الذي قال بأنه إذا مات مليون أمريكي في الأيام الثلاثة الأولى لحرب نووية فإنه بالإمكان تحمل هذا لكن إذا مات 90 مليون فإن ذلك سيكون كثير"** [1].

ونلمس هنا مظهر آخر من مظاهر الإنسان المعاصر في المجتمع الصناعي وهي اللامبالاة وعدم الإكتراث وكأن تلك الأرقام والنتائج لا تشير إلى جانب يتعلق بالذات الإنسانية، فالتقنية اليوم تهدد الوجود القيمي للإنسان وتعارض الهدف الإنساني الذي يدعوا إلى التكامل والتوحد.

غير أن تلك النظرة الكمية والتجريدية تزيد من تفرقة الكيان البشري أكثر ما تجمعه، وتجعل من الإنسان كائنا مجردا منتزعا عن خصائصه النفسية والإجتماعية، فيفصل بين الجسم الإنساني وبين شعوره ويكون مقياس الإنسان في شتى المجالات هو ذلك المعطى الكمي العددي.

ثانيا: النجاح كمعيار قيمي للذات الإنسانية.

لقد كرس الإنسان المعاصر في المجتمع الصناعي كل مجهوداته لتحقيق النجاح حتى ولو كان ذلك النجاح يمس بحياة أفراد المجتمع، ويعتبر النجاح أو الربح هو السمة البارزة لإنسان القرن العشرين. **"من المحتمل أن يتكيف موقف الإنسان من نفسه بهذه المعايير للنجاح وشعوره بتقديره في مجتمع معين بل يتوقف على قابليته للبيع والرواج في السوق أو رأي الآخرين في جاذيته"**[2] بمعنى أن ميزان التفاضل بين الناس هو مدى نجاحه في ذلك المجتمع فلا ينظر للإنسان على أنه ذلك الكائن الذي يحمل في ثناياه مكنونات الإنسانية من حب وسلام، والتي تقضي إلى المجتمع السلمي **"فأصبحت حياة الإنسان عبارة عن مشروع تجاري إما أنه**

---

[1] إريك فروم: الإنسان والمستلب وآفاق تحرره، مصدر سابق، ص 53.

[2] إريك فروم: الدين والتحليل النفسي، ترجمة: فؤاد كمال، دار غريب، القاهرة، د ط، د ت، ص 96

أسفر عن ربح أو خسارة" [1]، فنجاح الإنسان معناه وصوله إلى قمة الهرم في التصنيف الإجتماعي وخسارته تعني حضيضه في أوساط ذلك المجتمع.

"**وهذا النمط التجاري يؤمن بالكسب وزيادة الربح وهو ظاهرة القرن العشرين والحضارة الرأسمالية، حيث يختزل الفرد شخصيته وموقفيته في العمل والربح المادي وعدم موقفيته، فتتحول شخصيته إلى بضاعة مزجاة تتقلب مع تقلب المناخ السوقي**" [2]، فيمكننا القول أن الإنسان المعاصر ذو نزعة براغماتية، فالفكرة الناجحة في نظر هؤلاء هي التي تتجسد على أرض الواقع فالنجاح هو معيار الحقيقة والصدق، فاهتم مدراء الشركات في العصر الصناعي بالربح دون الإهتمام بالإنسان وهو ما عبر عنه إريك فروم بمثال تجربة "مايو" التي أوردها في كتابه "**لقد إستطاع مايو أن يبرهن أن ما يرفع مردودية العمال هو ليس إستراحة الصبح وإستراحة بعد الظهر، لكن هذا الإهتمام بهم، وهو إهتمام لم يكونوا ينتظرونه وبعد كان هذا مناسبة بداية طريقة تفكير جديدة أن ما يرفع من الإنتاج ليس هو الإستراحات والرفع من الأجور بل هو حب العمل نفسه**" [3].

فكان من اللازم بناء الإنسان قبل بناء الشركات، وأعني ببناء الإنسان هو زرع الأمل فيه والثقة وإحساسه بأنه هو مركز الأشياء جميعا ومن ثمة توطيد العلاقة بين الإنسان وعمله من أجل تحريك قدراته النشيطة.

"**لكن مبدأ المحاسبة والحصيلة والربح طبقت في نفس الوقت على الإنسان ومرت من الإقتصاد إلى الحياة البشرية، لقد أصبح الإنسان مقاولة رأس ماله هو حياته ويظهر أن مهمته هو أن يحسن استثمار هذا الرأسمال، فإذا أحسن استثماره فإنه يكون ناجحا، وإذا لم يحسن إستثمار حياته فإنه سيرسب وبهذه الطريقة سيصبح شياءا**" [4]، ففي حالة نجاحه يكون مطلوبا لمجتمعه الذي يقدس النجاح، مسموع الكلمة قوى الشخصية تنجذب نحوه الأنظار.

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 263.

[2] السيد أحمد القابنجي: مرجع سابق، ص 184.

[3] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 211

[4] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرر، مصدر سابق، ص 46.

فتلك هي معايير التصنيف لدى المجتمع الصناعي المعاصر، فالربح المادي هو الذي يمكن للإنسان معرفة ذاته كذات إنسانية في مجتمع كرس نفسه لأجل الربح المادي والنجاح، وكأن ذلك النجاح هو المرآة العاكسة التي يرى فيها الإنسان ذاته ويحكم على نفسه من حيث ملائمتها ومطابقتها لذلك المجتمع.

"**فاليوم لم يعد "بعل" "وعشتروت" هما اللذان يهددان أثمن ممتلكات الإنسان الروحية وإنما تأليه الدولة والقوة في البلاد التسلطية وتأليه الآلة والنجاح في حضارتنا وسواء كنا متدينتين أم لم نكن** " [1]

فكان الإنسان في العصور القديمة يوقف حياته لخدمة جانبه الروحي أكثر من جانبه المادي، ويحاول أن يجد تفسيرات دينية غير أنه وفي العصر الحديث تخلى الإنسان عن تنمية وتغذية جانبه الروحي، وكان ذلك مع حلول النظام الآلي والديكتاتوري، حيث أصبح هم الإنسان هو النجاح حتى وإن لم يكن يتوافق مع الرؤية الدينية لمجتمعه "**وثمة تفسير آخر هو أن القادة والزعماء بسبب الأنانية التي يخلقها ويرعاها النظام أصبحت الأولوية عندهم للنجاح والأمجاد الشخصية وليست للمسؤولية الاجتماعية**" [2].فانتقلت المسؤولية من التكليف إلى التشريف ونيل الألقاب وحب التمجيد والشهرة.

ثالثا: الإنسان وظاهرة التشيؤ.

لقد إنجر عن ذاتية العقل الإنساني في العصر المعاصر تجاوزات وإنحرافات غيرت من بنية الإنسان الطبيعة التي فطر عليها خاصة في علاقته مع آخيه الإنسان "**إن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان هي علاقة شيئين مجردين آلتين حيتين**" [3]، وكأن الناظر في تعامل الإنسان مع أخيه لا يرى تلك الصفات والخصائص البشرية، وإنما يرى في ذلك تحرك آلتين يقول فروم "**وإنه محكوم من طرف الأشياء التي صنعتها يداه وقد أصبح الإنسان نفسه شيئا إنه لا يساوي شيئا لكنه يشعر بأنه كبير عندما يشعر أنه متحد مع الدولة مع الإنتاج من العمل**" [4]، فنعني بتشيؤ الإنسان أنه يصبح شيئا جامدا تغيب فيه الفاعلية الإنسانية وذلك نتيجة لعبادته لتلك المصنوعات فبدلا من أن يظهر تحكمه في تلك الأشياء المحيطة به يجد نفسه أسيرا لها وهو بذلك يرى ذاته إلا في تلك المصنوعات وهنا تلغى فكرة الحركية عند الإنسان ويتسم بطابع السكونية فينتقل بذلك من عالم الإنسان ال عالم الحيوان والجماد.

---

[1] إريك فروم: الدين والتحليل النفسي، مصدر سابق، ص 107.

[2] إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص 25.

[3] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 251.

[4] إريك فروم: حب الحياة، مصدر سابق، ص 73.

"نجد أن مارتا نوسياوم Martha Nassboum مثلا قد أطلقت كلمة تشيؤ على تلك الأشكال المتطرفة للتعامل الأدانى مع الأشخاص الآخرين" [1]،فبانجذاب الإنسان نحو عالم الأشياء والمصنوعات يجد نفسه يستبعد الطابع الإنساني والصلة الإنسانية في علاقته مع الآخرين، فتأخذ تلك العلاقة الإنسانية طابع الأشياء خاصة في التعاملات، فمثلا في فعل المصاحبة لإنسان ما على أساس المصلحة معناه قد حولت تلك العلاقة الإنسانية إلى سلعة تبادلية، أو أن لا أقدم معروفا لشخص ما إلا إذا قابلني بأفضل منه، إذا تخضع تلك الروابط الإجتماعية والعلاقات الإنسانية إلى منطق السوق أو التبادل التجاري، فيعامل الشخص في حد ذاته إلى سلعة وتقدر قيمته بمدى الخدمات التي ينتجها أو الفوائد التي يضفيها في تعامله فتنعدم بذلك العلاقة الإنسانية ويحل مبدأ المصالح.

"إذا أصبح الإنسان شيئا فإنه سيموت على الرغم من أنه عاش فيزيولوجيا، وإذا مات الإنسان نفسيا على الرغم من أنه يحيا جسديا فإنه يقاد إلى السقوط ويصبح خطير على نفسه وعلى الآخرين"[2] وقد تجلى فعل التشؤ على عدة مستويات أو في عدة مجالات خاصة في المجال الطبي ومع التطور التكنولوجي وإمكانية نقل الأعضاء من شخص لأخر، وهو ما زاد في عملية إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، فقد أوجدت بنوك الأعضاء وإن صح التعبير قطع غيار للأعضاء، وتم بذلك إخراج الإنسان عن دائرته الإنسانية فلا يعرف الإنسان على النحو الذي يكون فيه حاملا للصلات الإنسانية أو أنه ذو طبيعة نفسانية، وإنما أصبح يعرف على أنه حامل لمنافع يمكنني إستغلالها في حجم القدرة التي أملك، وفي ظل هذا المرض يفقد الإنسان معنى الحياة ويغيب عن فكره رسم الأهداف ويسير في عالم اللامعنى والفوضى ويصير الإنسان إلى مجرد عنصر يستخدم فيه كأداة أو كشيء.

"وعلى المدير البيروقراطي ألا يكون لديه شعور بمقدار ما يتعلق الأمر بنشاط المهني بل عليه أن يتصرف بحذق مع الناس وكأنهم أرقام أو أشياء" [3].

---

[1] أكسل هونيت: التشيؤ دراسة في نظرية الإعتراف، ترجمة: كمال بومنير مؤسسه كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2012، ص 28.

[2] إريك فروم: حب الحياة، مصدر سابق، ص ص 68 -69.

[3] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 238.

فبدلا من أن يكون ذلك المدير أو عامل الإدارة في إرتباط مع العمال على شكل إنساني ويرتبط معهم في خدمة لمصلحة العمال والنشاط معا، يغير إتجاهه الإنساني إلى نوع من التسلط ويضفى في تعامله نوعا من المصلحة الشخصية مستعملا في ذلك منصبه، وتتغير علاقته مع العمال إلى علاقة تبادلية تجارية وإلى سلع تجارية قابلة للمقايضة أو للبيع والشراء وهذا ما يزيد من تمزق وتذمر الإنسان أو العامل بصفة خاصة، وقد تجسد ذلك بشكل كبير في النظام الرأسمالي الذي يولى الأهمية الكبيرة للإنتاج المادي والربح السريع الذي من شأنه أن يطور في حركة رؤوس الأموال .

"**للبيروقراطين في المجتمع الحديث مكانة سامية بل مقدسة فكما أن قادة العصور الوسطى يمثلون الأوامر الإلهية وينالون الإحترام والتقديس فكذلك أصبح دور البيروقراطي في المجتمع الحديث لا يقل عنهم أهمية وتقديسا**" [1]وهو ما يظهر في عصرنا الحالي، فالرشوة مثلا هي نوع من أنواع القرابين التي كانت تقدم إلى الآلهة.

[1] حسن حمادة: مرجع سابق، ص 194.

المبحث الثالث: كينونة الانسان المعاصر.

لقد انحدرت كينونة الإنسان المعاصر والغربي خصوصا الى عالم الأشياء، يهدف من خلالها هذا الإنسان الى أن يثبت نفسه ووجوده، غير انه وجد نفسه مرهقة ومنهكة في ذلك العالم وعليه نتساءل: فيما تمثلت كينونة ووجود الإنسان المعاصر ؟

أولا: الإنسان التملكي

أصبح التهافت وراء التوجه التملكي أمر لا مفر منه لدى إنسان المجتمع الصناعي المعاصر، حيث يعتبر أن وجوده لا يكون إلا في حالة التملك والكسب لتلك المصنوعات والأشياء التي أوجدها عالم التقنية لإنسان اليوم الذي يعتمد على الإنتاج المتواصل لأشياء في الكثير من الأحيان تكون وهمية أو في غنى عنها، فسرعة التقنية هي التي فرضت تلك المصنوعات الوهمية على الإنسان المعاصر "**ونحن راضون بالإمتلاك من دون استعمال، فما لا نستعمله خشية الإنكسار من مجموعة تناول العشاء غالية الثمن والزهرية البلورية والمنزل الضخم ذو الغرف الكثيرة الغير مستعملة والسيارات غير الضرورية والخدم غير الضروريين مثل التحف الصغيرة القبيحة في أسرة الطبقة**" [1]، وحديثنا عن التملك لا نعني به التملك الإحتياجي الذي يوفر على الإنسان حياة السعادة والذي هو ضروري، لكن ما نقصده هو ذلك التملك السلبي الذي يجعل من الإنسان فاقد الوعي والإدراك متلهفا نحو آخر الإصدارات التي في غالبها لا تستعمل.

لقد أصبح ذلك الركن المخصص للتلفاز أو الثلاجة بمثابة ركن المعبد الذي نجده في الكنيسة أو ما يتمثل في المحراب عند العقيدة الإسلامية على حسب تعبير إريك فروم وهي ممتلكات لا تغذي جانبه الروحي أو النفسي بل تزيد من تعاسته رغم رفاهية تلك الأشياء وغلاء قيمتها في الأسواق التجارية يقول فروم **(إن الإنسان يحس من نفسه من خلال ما يمتلك وليس من خلال ماهيته)** [2]، وما يستحق منا أن نخصص له الأماكن هي المكتبات التي تحمل على رفوفها مختلف الكتب في شتى المجالات قصد التوجه نحو التملك الروحي والثقافي.

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص ص 244، 245.

[2] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، مصادر سابق، ص 82.

لقد أكسب الإنسان تلك المصنوعات قيمة أغلى منه وهذا ما حط من قيمة الإنسان المعاصر **"في أسلوب الحياة التملكي تكون علاقتي بالعالم علاقة ملكية وحياة، علاقة أريد بها أن يكون كل شخص وكل شيء ملكا لي بما في ذلك ذاتي نفسها"** [1].

فتدحرجت كينونة الإنسان إلى عالم الأشياء، فلو سئلت إنسانا ما من تكون لأجابك أنا مالك المؤسسة كذا، فقد نظم الإنسان المعاصر شخصيته في ممتلكاته وهويته لا تحدد إلا بما يستحوذ عليه وما يملكه فتختفى ذاته وراء الأشياء.

"ففي منتصف القرن العشرين تراجع التوجه الإدخاري أمام التوجه التلقفى الذي هدفه هو أن يتلقى وأن يتلقف" [2]، فالتوجه الإدخاري هو حق مشروع للإنسان وكان ذلك نتيجة شح المنتجات وندرتها، فيدخر الإنسان ما يحتاجه لضمان بقائه ونماء حياته ويقتصر على الضروريات من الأشياء والحاجيات، أما التوجه التلقفى فهو الغبطة في الكسب والتملك بحيث يتسارع الإنسان في ضم تلك المقتنيات إلى قائمة ممتلكاته حتى وإن كان في غنى عنها وهو إقتناء لا عقلاني لتلك المصنوعات، يهدف من خلالها الإنسان المعاصر أن يثبت وجوده، وفي حالة التصارع والتنافس من أجل الكسب والتملك يجد الإنسان نفسه مرهقة نحو عالم الأشياء.

"ما يميز المجتمع الصناعي الغربي هو التوجه التملكي حيث أصبحت شهوة تملك المال الشهرة السلطة أصبحت هي الموضوع المسيطر على الحياة" [3].

فأصبحت الحياة تعني التملك والكسب وهي غاية مقدسة لإنسان العصر الصناعي، ويرى فروم أن هذا الإنسان قد تعلق بالأسماء بدل من أن يتعلق بالأفعال يقول في ذلك **"فالأسماء هي الرموز المناسبة للأشياء ويمكن أن أقول أنني أملك منضدة مثلا أو منزلا أو سيارة، بينما الأفعال هي الرموز المناسبة للنشاط والفعل فمثلا أنا أكون، أنا أحب، أنا أريد"** [4]فيرى فروم أن الأفعال والحركات هي التي تعبر

---

[1] إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص ص 36-37.

[2] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 248.

[3] المصدر السابق، ص 33.

[4] المصدر نفسه، ص33.

عن كينونة الإنسان الحقيقة وتسمح للنزعة الإنسانية ان تطفو على السطح، أما تعلقه بالمقنيات والأشياء فهي حركة مغلوطة تؤدي به إلى الغرق في ذلك العالم مما يستحيل عليه رؤية صورته الإنسانية.

ثانيا: الإنسان الإستهلاكي.

يعد الإستهلاك نموذجا من نماذج التملك التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها ومد يده عليها قبل شهوته ورغبته فيها،يقول فروم "**غير أن الصناعة في إحتياجاتها للإنتاج المتزايد لا تعتمد على إحتياجات ورغبات المستهلك**" [1].

فالمؤسسة لم تعد تنتج وفق إحتياجات الإنسان بل تنتج وفقط، خاصة وأن الإنسان في حالة تسليم عامة لأهوائه ورغباته لمنتجات الشركات الكبرى أو بالأحرى لمنتجات الألة، فيتغذى وفق نظام الأغلبية "**الرغبة في الإستهلاك رغبة مطلقة منفصلة تماما عن حاجيات الإنسان الحقيقية**" [2]، فكان الإنسان يستهلك وفق ما يشبع حاجياته الأساسية التي بفضلها يضمن هذا الإنسان بقائه.

"**لقد أصبحنا مستهلكين لكل شيء مستهلكين للعلم للفن للمحاضرات والحب والموقف نفسه دائما أنا أدفع أحصل شيء ما لي الحق في الحصول عليه**" [3]، ففي العصر الصناعي المعاصر قد أصبح كل شيء قابل للتميع والشراء، فقيمة الشيء الجميل تتحدد في الأسواق وتتمثل في آخر الإصدارات حتى ولو لم تكن تتوافق مع هويتي، فأنا مطالب بأن أحصل عليها لأضمن بذلك لقب أني إنسان مواكب لروح العصر ولا تظهر قيمة الحب إلا في وجود الجنس على حد تعبير إريك فروم.

"**وإن كنت أمتلك المال إستطعت أن أحصل على لوحة زيتية بديعة ولو أنه ليس لدى أي تقدير للفن**" [4] فقد أضحى الإستهلاك غاية في حد ذاته والمال وسيلة لتحقيق تلك الغاية، فقد شبه فروم الإنسان المعاصر وسلبيته في المجتمع بالرضيع الأبدي ذو الفم المفتوح، وهو تشبيه ذو دلالة على أن الإنسان لا يمكنه تنمية نفسه والإرتقاء إلا إذا تخلص من تلك الإتكالية، وتارة أخرى يشبهه بحالة الإنسان المتعطش الذي يشرب محلولا ملحيا فيبقى دائم السلبية والانتظار.

---

[1] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 69.

[2] حسن حمادة، مرجع سابق، ص 129.

[3] إريك فروم: مساهمة في علوم الإنسان، الصحة النفسية للمجتمع المعاصر،ترجمة: محمد حبيب، دار الحوار سورية، ط1، 2013، ص 55.

[4] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 243.

ويبين فروم "**أن السعادة لا يمكن أن توجد في حالة السلبية الداخلية، وفي حالة الإتجاه الإستهلاكي الذي يسود حياة الإنسان**" [1]، فحتى مفهوم السعادة ورؤيتنا له قد فقد معناه الإصطلاحي وطاله التحريف، فبعد أن كانت السعادة تعنى العيش في توافق مع الضمير الإنساني ووفق رؤيته في التشريع الإجتماعي لكل مجتمع من المجتمعات، أصبح له مفهوم ودلالة أخرى خاصة بعد أن فقد الإنسان جوهره الإنساني فقد إرتبطت السعادة في المجتمع الصناعي بالإنتاج والإستهلاك والتحصيل وإشباع لذة البطن دون تغذية جوهره المتمثل في العقل والبصيرة والكوجتيو الديكارتي يقول(أنا أفكر إذا أنا موجود) فحصر ديكارت وجوده الإنسان في خاصية التفكير بينما حصر الإنسان المعاصر الوجود الإنساني في الأشياء "**أنا موجود بقدر ما أملك وأستهلك**" [2].

وهو سلوك حيواني يقول فروم"**إن فعل الإستهلاك يجب أن ترتبط به حواسنا وحاجاتنا البدنية وذوقنا الجمالي وأصبحت صلتنا بالأشياء الإستهلاكية مجرد كيف نتصرف معها أو نستهلكها لكن لا ندري كيف تصنع**" [3]، وهي فكرة أساسية يتغاضى عليها الإنسان المعاصر، ففي الكثير من الأحيان يجهل الإنسان محتويات ومواد الصنع التي قد تؤدي به إلى الأضرار أو الوقوع في الأخطاء أو الآثام بالتعبير الديني، فمثلا المجتمع الإسلامي يحرم عليه أكل لحم الخنزير غير أننا نجد الكثير من المقتنيات خاصة الغربية والأوربية منها والتي تسوق إلى عالمنا الإسلامي تحتوي في موادها على شحوم الخنزير.

"**إن مهمة الدولة هي أن تحدد معايير الإستهلاك الرشيد في مواجهة الإستهلاك المرضي أو الإستهلاك الإعتباطي(...)مسندة في ذلك إلى آراء وخبرة العلماء في مختلف المجالات وإلى تجارب عملية ومعملية صبورة، وبالطريقة نفسها يمكن تقديم قيمة السلع والخدمات الأخرى استنادا إلى آراء تشكيلية مناسبة من المختصين في علم النفس والأنثروبولوجي وعلم الإجتماع والفلاسفة ورجال الدين**"[4].فيجب أن تتكاثف الجهود للخروج بالإنسان إلى بر الأمان، وتحديد ما هو مناسب وما هو مدمر لحياته وخصوصياته الفردية والإجتماعية.

---

[1] حسن حمادة، مرجع سابق، ص 209.

[2] إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص 40.

[3] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 246.

[4] المصدر السابق، ص 169.

ثالثا: دور وسائل الإعلام في توجيه الإنسان.

لقد إستبعد مفهوم الخصوصية وغاب الوعي لدى الإنسان المعاصر المتأثر بالعقلانية التيكنولوجية فبعد أن تحرر من قيود الطبيعة والأساطير وتفسيراتها الميتافيزيقية التي تلغي عملية التفكير الإنساني، ومع إستفاقة الإنسان من ذلك السبات خاصة في عصر الأنوار قد وجد الإنسان هذا العصر نفسه أمام قيود تيكنولوجية تحد من خصوصياته وذاتية خاصة ضمن هذا النظام الإنتاجي.

فقد أوجد هذا النظام التكنولوجي آليات من شأنها أن تعلب العقل الإنساني، تمثلت هذه الآليات في وسائل الإعلام سواء كانت صوتا أو صورة أو كلاهما وجعلت من الترويج للإستهلاك والتملك مهمة لها يقول فروم "**ومع زجاجة الكوكا كولا نشرب صورة الفتى والفتاة الذين يشربانها في الإعلان التجاري ونشرب شعار "التوقف الذي ينعش"ونشرب لعادة الإمريكية العظيمة وبأقل من ذلك نشرب بذوقنا**" [1]. فقد إرتبط إستهلاك الإنسان بذلك الواقع المزيف الذي رسمته تلك الإعلانات خاصة فيما تعلق بالشركات الكبرى الإحتكارية والمؤسسات الإعلامية الكبرى، فقد إستطاعت تلك المؤسسات الإعلامية أن توحد الأذواق ،فما يعيش عليه الفرد الأمريكي هو نفسه الذي يتغذى عليه الفرد في آسيا وإفريقيا فيكفي في ذلك أن نبرز عنوانا يجذب المتفرج كقولنا 'الذوق الدائم' أو 'الصورة التي تأخذك بعيدا'.

"غير أن الصناعة في إحتياجاتها للإنتاج المتزايد لا تعتمد على إحتياجات ورغبات المستهلك بل تعتمد بقدر كبير على الدعابة وهي أشد عدوانية ضد حق المستهلك"[2].

وتكمن تلك العدوانية في تغيب وتعطيل الوعي أو الإدراك فيصير الإنسان تائها بين كثرة المنتجات ووفرتها وبين الإختيار "**وفي الحقيقة ليس حرا في الإستمتاع بفراغه إنما تتحكم الصناعة في إستهلاك فراغه كما تتحكم في السلع التي يشتريها وهو يرى ويسمع ما هو مفروض عليه أن يراه ويسمعه**" [3]، ففي كثير من الأوقات تسعى وسائل الإعلام إلى تدمير الوعي الإنساني وتغيبه ويكون ذلك من خلال نشر الأغاليط وتزوير الحقائق كما أنها تسعى إلى تمرير إيديولوجيتها عبر تصدير تلك الأخبار"**الإعلانات التي هي عبارة عن**

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 245.

[2] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 69.

[3] حسن حمادة، مرجع سابق، ص 200.

مزج من قليل من الحقيقة والكثير من الظواهر الاجتماعية ان ذلك كله ما هو إلا جزء من كذبة كبري"[1] فقد إستطاعت وسائل الإعلام والإعلانات أن تأسر الإنسان وتشكله، فيغيب عن نظره تلك القيود والأغلال التي عملت المؤسسات الكبرى على وضعها على العقل الإنساني، وهي قيود تغلف وتحجب عن الإنسان الرؤية النقدية فيه فيسر في ظلامه الدامس منصاعا لتلك الأنظمة او الأجهزة الإلكترونية وهذا ما يولد المشاعر السلبية في نفسية الإنسان وتشعره بإحساس الضياع فيقع ذلك الإنسان في حالة إندماج مع هذا الواقع المرسوم ويحدث الذوبان والاحتواء وكأنه الهروب من القلق فينساق باتجاه البعد الواحد الذي أشار إليه ماركيوز "**وإذا كانت السكرتيرة ترتدي ثياب لا تقل أناقة عن إبنة مستخدمها وإذا كان الزنجي يملك سيارة من طراز كاديلاك وإذا كانوا جميعا يقرأون الصحيفة نفسها فإن هذا التماثل لا يدل على زوال الطبقات إنما يشير على العكس إلى مدى مساهمة الطبقات السائدة في تحديد الحاجات والتلبيات التي تتضمن إستمرار السيادة لها**" [2]، وتمارس وسائل الإعلام عملية الإغراء من خلال الترويج والإعلانات المكثفة وباستخدام ألمع الشخصيات باختلاف توجهاتهم مما يحدث نوعا من الشوق في نفسية الإنسان وهو مايدفعه نحو الإستهلاك، كما أنها تحدث فيه إنسجاما كاملا محكم الأنساق.

"**وفي الواقع هل نستطيع فعلا أن نفصل بين وظائف الإتصال الجماهيري الذي يستهدف الإعلام والإلهاء بقدر ما يستهدف في الوقت نفسه التكييف والقولبة المذهبية**" [3].لا يحيا الإنسان بإشباع غرائز البطن وشهواتها فقط، بل يحيا في تواجد روح التفكير والنقد والمساهمة في فهم الواقع المعاش لا فهمذلك الواقع المزيف الذي يرسم على شاشات التلفاز والذي يجعل من الإنسان هامشا، فالنظام الإعلامي الحالي في المجتمع المعاصر قد جعل الإنسان يعيش في عزلة عن عالمه الحقيقي.

يمكننا أن نجمل مختلف التغيرات التي طرأت على بنية الإنسان الغربي والإنسان المعاصر في مفهوم واحد ونقول أن مفهوم الإنسان المعاصر عنوانه هو "'الإغتراب'" **ويعني بشكل عام "الإنفصال أو التحول عن الوضع أو المكان المألوف للإنسان بمعنى أنه يعبر عن حرمان الإنسان من أشياء يحبها أو إبتعاده عن شيء أو شخص يرغب به أو يحبه بفعل تشئته أو غريزته وهو تعبير ضياع أو إفتقاد وهذا الشيء**"[4].

---

[1] إريك فروم: فن الوجود، ترجمة: إيناس نبيل سليمان، دار الحوار، سورية، ط1، 2011، ص32 .

[2] هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الأداب، بيروت، ط3، 1988، ص 44.

[3] المرجع نفسه، ص 44.

[4] إياد الزاملي: الإغتراب قراءة في إشكالية المفهوم عبد الكريم سليم علي، مجلة كتابات، السبت 16 تشرين الثاني 2013، 00:00، ص 2.

بمعنى أن الإغتراب هو إحساس نفسي بنقصان شيء ما كان في وجوده يولد إنطباعا جيدا في نفسيتهلكن بغياب هذا الشيء أو الحرمان منه فإنه يتولد عكس ذلك، فيشعر الإنسان بحاله من الغربة أو الإنفصال عن نفسه أو عن مميزاته.

فيمكننا وصف الإنسان المغترب عن نفسه بذلك الإنسان الذي يعيش في غربة عن وطنه، فكلاهما يعود به الحنين إلى موطنه الأم أو محاولة الرجوع إلى حالته الأصلية أين توجد كل معاني المساوات والتعاون مع الأخر،وغياب لكل مظاهر الفورقات والأنانية.

"وسلبية الإنسان ليست عرض مرضيا ضمن عرض مرضي شامل يمكن أن يسميه المرء العرض المرضي للإغتراب[1].وهناك يوضح "**فروم**" ملامح ومظاهر المرض الإنساني وسلبيته التي تكمن في حالة الإغتراب ويأخذ الإغتراب عدة أشكال ومستويات من بينها إغتراب العامل من عمله وعن منتجاته وإغترابه عن نفسه وعن الآخرين كما وضحهم "**ماركس** "، أما "**إريك فروم**" فيقر بكل هذه الأشكال أما مايشدد عليه فروم في رؤيته وغير بعيد عن ماركس، فإنه يولى إهتماما بالغا لدراسة الإغتراب الإجتماعي والإغتراب النفسي.

فمن أمثلة الإغتراب النفسي كأن يفقد الإنسان حريته المنشودة ويستعيدها بوهم الحرية كما أشار إليها ماركيوز سواء أغابت تلك الحرية في الأنظمة الشمولية أو جراء الإنتشار الثقافي الواسع للوسائل التكنولوجية.

كما أن للدين التسلطي أثار سلبية على الإنسان قد تشعره بالغربة عن نفسه يقول فروم" **حتى في الأديان الواحدية أصبح الإنسان غريبا عن نفسه لأنه أسقط أفعاله إلى الله**"[2].

ويتعلق الإرتباط بين الدين والحالة الإغترابية للإنسان من خلال فقدانه لخاصية التفكير والتأمل العقلي كونه يسير في إتجاهات ومعتقدات الدين وتأويلاته سواء كانت صحيحة أو منقوصة أو خاطئة أما على المستوى الإجتماعي أو الإغتراب عن الأخرين فيمكن أن نجسده في التعاملات اللإنسانية بين أفراد

(1) إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 234.

(2) اريك فروم: الدين والتحليل النفسي، مصدر سابق، 93.

المجتمع الواحد أو بين المجتمعات والأمم كأن نقطع عن باقي الأمم وصف الإنسانية أو ننعتهم بأشد صور القبح أو نعاملهم بها من خلال أفعالنا مثال ذلك الإبادات الإجتماعية التي يكون الهدف من خلالها الأدلجة والتنميط او إعتبار الأخر أنه إنسان بدائي ومنحط وجب توعيته ليتم إدراجه في خانة الثقافة ولا يتم ذلك إلا من خلال التماثل والتسوية في الذوق وقد هيأ هذا النظام الصناعي أدوات ووسائل تقنية من شأنها تنميط هذا الإنسان وتغيب الوعي عنه وكان ذلك من خلال وسائل الإعلام بشتى أنواعه (الصوت، الصورة أو كلاهما).

كما يظهر حالة الإغتراب عن الأخرين من خلال التعامل البيروقراطي بين الأفراد، فتأخذ تلك العلاقات الإنسانية علاقات تبادلية سلعية من خلال النظر إلى الفرد من الطرف الأخر على أنه شيء يمكنني الإستفادة منه لهذا يحدث معه التعامل أما إذا غابت فيه أي مصلحة تؤدي به إلى الكسب المادي فإن علاقتي به قد تنتهي هذا إذا وجدت.

وبهذا فإن الإنسان في تواجد هذا الإغتراب فإنه يفقد هويته وجوهره الإنساني ويفقد كل معاني الحياة لأنه يشعر بأن كل مجهوداته وأفعاله هي ليست ذات قيمة معنوية إنسانية وإنما ذات قيمة مادية في إطارها التبادلي أو في وقت ما وفي سوق ما إن صح التعبير **"لذا فقد أصبح المجتمع الحديث يتكون من ذرات صغيرة كل منها غريب عن الأخر "** [1]. وقد حدث هذا نتيجة طغيان الأنانية عن الإنسان المعاصر الذي يطمح إلى الكسب والتملك والى كل أنواع الإستهلاك ومعايير النجاح المادي.

ومنه نستخلص أن ما يميز المجتمع الصناعي المعاصر من رفاهية وإنتاجية سببه العقلانية التكنولوجية إلا أننا نجد بالجهة المقابلة غياب الفردية وضبابية الحرية، وبالمفهوم العام غياب إنسانية الإنسان وطغيان النزعة التدميرية فبعد عملية التحرر من قيود الطبيعية وسيطرتها وخروج الإنسان إلى العالم العقلاني ظننا منه أنه سيجسد أسمى مظاهر الإنسانية، قد وجد نفسه تقبع تحت سيطرة من نوع آخر وهي من صنع يدية تمثلت في تلك الأدوات التيكنولوجية التي أصبحت بمثابة الإله الذي حق أن يعبد، فبدلا من أن يظهر تحكمه في تلك الأدوات أظهر العكس من ذلك، فتحول الإنسان إلى آداة في تلك التكنولوجيا فيسير في ذلك الإتجاه الذي رسمته فغابت البصيرة الإنسانية عنه وغاب الأمل فيه وأمسى في وضع لا يعرف المقارنة والتفريق فيه بينه

[1] حسن حمادة، مرجع سابق، ص 190.

كنفس إنسانية ذات خصائص بشرية وبين ذلك الشيء الجامد الذي لا يعرف حتى كنهه، وكان ذلك نتيجة لغياب الحركية وهو ما يطلق عليه إريك فروم ولوكاتش وغيرهم من الفلاسفة إسم وظاهرة التشيؤ.

كما أنها عمدت التكنولوجيا في حلتها الأخرى والتي تظهر في وسائل الإعلام إلى أن تجعل من كل المنتجات أشياء ضرورية "إحتياجية "، كما أنها أفرزت جانبا من النمطية في الأفكار وقولبتها كيفما وحيثما شاءت، وغاب في الإنسان التفكير النقدي فأصبحت لا تعرف الحقيقة عنده إلا من خلال ما تروج له تلك الوسائل فقد لعبت دورا في تشكيل الوعي الإنساني السلبي وضيقت من شخصية الإنسان وحاضرنا وحددت مجالها.

الفصل الثالث

القيم الروحية ودورها في إعادة بعث الإنسان

المبحث الأول: الأخلاق المظللة للإنسان.

المبحث الثاني: الأخلاق بين الدين التسلطي والإنساني.

المبحث الثالث: الحب كقيمة إنسانية.

تمهيد

قال أرسطو: "**بلين الكلام تدوم المودة في الصدور وبخفض الجناح تتم الأمور وبسعة الأخلاق يطيب العيش ويكمل السرور**"[1] يعرف الإنسان على أنه الكائن العاقل، كما يعرف على أنه الإنسان المرتبط بالأخلاق وهي صفة الجوهرية الإنسان التي لا يشترك فيها مع باقي الموجودات إلا مع بني جنسه وعليه نتساءل: ما نوع الاخلاق التي يستدل بها إريك فروم للخروج بهذا الإنسان بر الأمان؟

[1] محمد حسن النائيني: الإنسان في ضل الأخلاق، شبكة الفكر، د ط، د ت، ص 8.

المبحث الأول: الأخلاق المظلة للإنسان.

تعمل الأخلاق على تنظيم الحياة الإنسانية وتوجيه سلوكه في شتى المجالات سواء كانت إقتصادية أو سياسية أو مهنية غير انها في الكثير من الأحيان تختلف من بيئة لأخري وفي غالب الأمر تكون مظللة للإنسان وعليه نطرح تساءلنا هذا: كيف يمكن للأخلاق ان تكون مظللة للإنسان؟ وفيما تكمن تلك الحالات الأخلاقية؟

اولا: مدخل مفاهيمي.

1. **تعريف الأخلاق: "الأخلاق في اللغة جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروءة والدين وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من تقدم روية وفكر وتكلف وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة فنقول فلان كريم الخلق أو سيء الأخلاق"** [1]، بمعنى أن الأخلاق هي ذلك الحكم الذي يصدره من قرارات أنفسنا استنادا على مرجعية فكرية سواء كانت دينية أو اجتماعية وتختلف تلك الأحكام من مجتمع لأخر أو من دولة لأخرى.
2. **معنى القيمة الأخلاقية: "القيمة في اللغة تعنى المقدار فيقال قيمة الشيء مقداره وقيمة المتاع ثمنه ويطلق من الناحية الذاتية على الصفة التي تجعل من ذلك الشيء مرغوبا ومطلوبا إما من الناحية الموضوعية تطلق على ما يتميز به الشيء ذاته من صفات تجعله مستحقا للتقدير أن كثيرا أو قليلا"** [2]، وهو مصطلح دل في كثير من المواضيع على المجال الاقتصادي غير أنه ومع هجرة العديد من المصطلحات من مجال إلى آخر ارتبطت كلمة القيمة بالمجال الأخلاقي.

"أما في الأخلاق فلفظ القيمة الأخلاقية يعنى الخير ونقيضه الشر، بحيث تكون قيمة الفعل بما يتضمنه من خيرية أو ما نرى فيه من خيرية وكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير كلما كانت قيمة الفعل أكبر" [3].

فماله قيمة إلا ما اشتمل على الحسن من الأفعال وجمالها، فلا يمكن لنا أن نفاضل أو نقيم السيء والقبيح من الأفعال.

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، لبنان، د ط، 1989 ص 49.

[2] مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009، ص 587.

[3] المرجع نفسه، ص 587.

3.معيار الحكم الأخلاقي:

"إذا كان الإختلاف قائما حول طبيعة القيمة الأخلاقية فإن هذا الإختلاف إمتد أيضا إلى الأساس الذي تقوم عليه هذه القيمة ومن ثمة يطرح السؤال ما هو المعيار الذي بموجبه يعد الفعل خيرا أو شرا" [1]، وعلى هذا التساؤل نفهم أن مفهوم المعيار هو المرجعية أو المنهل الذي أصدرنا منه حكمنا على ذلك الفعل بالحسن أو القبح، الخير أو الشر، و ما نعني به أساس التصنيف والسند المأخوذ من تلك الأحكام، وقد تختلف معايير الحكم على الفعل الواحد ويكون ذلك الإختلاف بإختلاف وتعدد البيئات الإجتماعية، كما يمكن أن يكون الدين هو المحدد لتلك المعايير سواء أكان ذلك الدين إلاهيا أو إنسانيا وتكون تلك المعايير بمثابة قواعد وقوانين تحدد القيمة الأخلاقية للفرد وتكون متعارفة وواضحة لذلك المجتمع، وفي إلتزام الفرد بتلك التشريعات الأخلاقية يكون قد خطي خطوة إيجابية يكون بذلك مرتاحا من جهة الضمير.

وتعد الأخلاق أحد مباحث الفلسفة الثلاث (المعرفة، الوجود، الأخلاق) بمعنى أنه مبحث قديم قدم الإنسانية وقدم الفلسفة فهو العلم الذي يبحث في أفعال الإنسان الإرادية من حيث توافقها للخير والشر والسلوك الإنساني الأنسب والأصلح لقيام المجتمعات الإنسانية على أكمل وجه .

وقد تعددت الرؤى والنظريات الأخلاقية الفلسفية في تحديدها وتقيمها للسلوك الإنساني من نشأة الفلسفة فترى مثلا المدرسة السوفسطائية على أن الخير والشر أو القيم الأخلاقية متعددة ومتنوعة والإنسان هو الوحيد الذي يحدد ذلك فيقول بروتاغوراس " الإنسان مقياس كل شيء"، بمعنى أن الصحيح والخطأ في القضايا هو ما يتوافق معي ومع الإنسانية ككل يمكنه أن يقرر ذلك فيمكننا القول أن الأخلاق والقيم الصحيحة عند السوفسطائين تتأسس على الرغبة أو اللذة وهو ما يجعلها غير موضوعية.

أما أفلاطون فيرى في الأخلاق أنها ترتبط بالعقل وأن الخير هو إحدى القيم المتعالية التي توجد في عالم المثل والتي يسعى الإنسان إلى تحقيقها في العالم الأرضي المحسوس فيقول في ذلك(أن الخير فوق الوجود شرف وقوة) وهو العالم المعقول الذي توجد به الحقائق الكلية الثابتة اللامتغيرة والتي يستطيع أن يدركها الإنسان بعقله ولو بالشيء القليل لأنه يعيش في هذا العالم في حالة "تذكر" وهو ما جعله يربط الفضيلة بالمعرفة

[1] مصطفى حسيبة مرجع سابق، ص 589.

"**ويعرف أفلاطون الخير بأنه أعلى (المثل) ويطلق عليه الخير الأعلى ويعتبر أفلاطون الخير أيضا بأنه (العدالة)(...) ثم يعلن أن الأخير في مضرة الآخرين**" [1]، فيمكن أن نقول أنه بتحقيق الخير وتجسيده على العالم المحسوس فإننا بذلك قد إستطعنا الوصول إلى عالم المثل العالم الأزلي.

أما في العصر الحديث، فنجد نتشه يؤسس طرحه في الأخلاق على أساس نقدي، فيرى أن الأخلاق في تغير ويكون ذلك في حالة تواجد الإرادة أو إختفائها وأن الأخلاق في غالبيتها هي من صنع الضعفاء، ينتجونها في حالة عدم الإستطاعة وفي غياب القوة، فتستعمل كحجة يحتمي ورائها هذا النوع من البشر يقول نتشه في ذلك "**الانحطاط أصل فساد الأخلاق ضعف الإرادة الحاجة إلى محفزات قوة**"[2] فيصف نشته هذا الإنحطاط بأنه مرض معدي، لأنه لا يجلب سوى المهانة والذل في النفس البشرية، وبذلك ترفع أقوام وتبنى على أنقاض ذلك الإنحطاط فيزداد الأخر قوة بينما يزداد ذلك المنحط ضعفا يقول نتشه "**يجب أن نعتبر إضعاف الإنسان هدفنا الوحيد لمدة طويلة، إذا يجب أولا أن نقيم أساسا عريضا يمكن أن نشيد عليه صرح الرجال الأقوياء، وهذا هو ما جعل لكل نوع تمت تقويته إلى حد الآن يجد نفسه على نفس مستوى النوع الأدنى منه**" [3].

يقسم نتشه الأخلاق إلى قسمين بحسب تصنيف البشر وإرادتهم، فنجد أخلاق العبيد والتي تضم في مدلولها كل عبارات الشفقة والإحسان والصدق، وكان ذلك نتيجة ضعف قوتهم بينما نجد في الشق الثاني أخلاق السادة والتي تعبر في ثناياها عن كل صور ومظاهر الشجاعة والقوة والمجابهة ويتأتى لهم ذلك من خلال تمسكهم بإرادة القوة، ولن تظهر هذه الطبقة في نظر نتشه إلى الوجود ولن يذيع صيتها إلا من خلال ممارسة السادية والقوة لأن في غياب تلك الممارسات يمكن للعبيد أن تنفلت من قيود الضعف والهيمنة.

كانت هذه بعض الآراء والنظريات الفلسفية حول مسألة الأخلاق من حيث طبيعتها ومصدريتها ويرجع تباين كل تلك النظريات الأخلاقية إلى طبيعة المعيار الذي تستند إليه، أو إلى إختلاف البيئات والعقليات السائدة في كل عصر وفق كل مجتمع من المجتمعات.

---

[1] حسين حمزة شهيد: الأخلاق في فكر أفلاطون الفلسفي، مجلة جامعة الكوفة كلية الآداب/قسم الفلسفة، العراق، العدد العاشر، 2008، ص 8.

[2] فريدريك نتشه: إرادة القوة، ترجمة: وتقديم محمد الناجي، إفريقيا للنشر، المغرب، د ط، 2011، ص 60.

[3] المرجع نفسه، ص 307.

ثانيا: الأخلاق المطلقية

يرى أصحاب الأخلاق المطلقية أن المعايير الأخلاقية لكي توافق إحتياجات الإنسان يجب أن تكون مطلقة ومن ثمة نضمن أخلاقا وأحكاما أبدية وقطعية ونعنى بالمطلق أي الثابت اللامتغير، ويعتقد أنصار هذا المذهب أن الأخلاق المطلقة هي واحد في كل زمان ومكان، فهي معايير ثابتة خالدة في كل المواضيع كما أنها لا تنسب لشخص معين أو لفئة معينة أو عرف معين وهى بذلك تتجاوز تلك الحدود الضيقة، غير أن إريك فروم وجه لتلك النظرة المطلقية الشمولية عدة إنتقادات فيرى فروم أن "**المطلقية سبب النزاعات المأساوية والكارثية وللحروب التدميرية لا للسلام، ومن أبرز أمثلتها الثقافة الإمبريالية والثقافة الأصولية**"[1] فكلاهما يسعى إلى تجسيد هيمنته، فالإمبريالية هي نزعة تسلطية إستعمارية هدفها هو السيطرة والتوسع خارج حدودها لتشمل أكثر من بيئتها وجعل باقي البيئات نسخة طبق الأصل عنها أو تابعة لها ولتحقيق تلك الأطماع.

تسعى بكل أنواع السيطرة والإحتلال سواء كانت إقتصادية أو سياسية أو ثقافية، فالهدف المرجو من ذلك هو إعلاء كلمتها ورايتها، فمثلا ترى أمريكيا أنها الجنس المتعالي المتفوق لذا تسعى إلى جعل الأخر في تبعية، ونعنى بالأصولية هي الطائفة ذات الإتجاه الدوغماتي الذي لا يرى الآخر على أنه حامل لنوع من الحقيقة لأنه في نظره هو مالكها الوحيد.

فالمطلقية نزعة ذات هيمنة على الأخر إما أن يبدى تبعيته وإنصياعه أو أن يباد، وهو من تجسيد الثقافة الامبريالية إضافة إلى الأصولية التي تحاول فرض منطقها وترى في كل مخالف لها في الرأي أنه على خطأ أو أنها فئة ضالة وجب تحريرها يقول الشافعي كرد على الأصوليين 'رأي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب

"**إن شعارات من قبيل محاربة الشر أو الشيطان في العالم هي شعارات جد ضبابية تعنى قبل كل شيء توظيف المقدس لإحكام السيطرة على عالم الأشياء الفانية وهو توظيف مرفوض إنسانيا وحضاريا**"[2]، وهذا ما يظهر خاصة في الجماعات المتشددة والتي تعرف سوى مجال الآثام والأخطاء أو مجال التحريم بالمفهوم الإسلامي، فترى تلك الفئة نفسها على أنها الوريث الشرعي للرسالة السماوية وإصدار أحكام

(1) إريك فروم: الإنسان لأجل ذاته بحث في سيكولوجية الأخلاق، ترجمة: منقد الهاشمي مصدر، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2007، ص 7.
(2) إريك فروم: حب الحياة، مصدر سابق، ص 53.

وتأويلات تتوافق مع إعتقادهم أما ما دون ذلك من تأويلات لا تتوافق مع إعتقادتهم فهي إنحرافات عن المجال الديني والقدسي، فيمكننا أن نصنف ذلك الفعل في خانة التوجه التملكي.

كما نجد أن معظم الدول الإستعمارية والإمبريالية تتغنى بشعارات مقدسة مثل شعارات أمريكيا محاربة الشيطان ومحور الشر، وهو المصطلح الذي جاء على لسان جورج بوش ليصف به تلك الدول المعارضة له، ومصطلح إمبراطورية الشر وهي شعارات يعزف عليها أغلب الحكومات والأنظمة الفاشية، والغرض من ذلك كسب التأييد من طرف الجماهير الشعبية، أما عن المفاهيم المطلقة التي يمكن أن تتغنى بها أغلب تلك الحكومات هي مصطلحات ومفاهيم يمكن أن تنطبق على جميع الأجناس البشرية من حيث المبدأ أما مضمونها فيتنافى مع معتقدات وظروف كل بيئة ومجتمع مثال قيمة المساوات والحرية والديمقراطية، فهي قيم يمكننا أن نعول عليها من حيث المبدأ لكنها تختلف في مضمونها، فمثلا الحرية في أمريكا تتعارض مع الحرية في أي دولة من دول المجتمع الإسلامي، فيسعى الغرب إلى تصدير تلك القيمة إلى باقي المجتمعات التي لا تتوافق مع رؤاهم، وفي حالة الرفض من الأخر يوصف بأنه عدو الحرية وعدو الديمقراطية، ففي الكثير من الأحيان ما تكون الديمقراطية هي أحدى الذرائع والأسباب للإحتلال وللحروب وغير بعيد عن عصرنا الحرب الأخيرة على العراق بحجة نشر الديمقراطية والحرية وبحجة تطهير لمحور الشر.

إذا فالذي يخرج المطلقية من نطاقها وإيطارها الإيجابي هو إرتباطها بمبادئ النفعية والبراغماتية، فالقيم المطلقية هي قيم عالمية مالم تختلط بالنفعي وما أن إحترمت خصوصيات كل مجتمع ومعتقداته فالمساواة قيمة عالمية إنسانية في إيطارها البيئي.

ثالثا: الأخلاق النسبوية:

تعرف الأخلاق النسبوية على أنها "**مجموعة قواعد السلوك المقررة في زمان معين لمجتمع معين نقول أخلاق العرب وأخلاق الفرس وأخلاق الروم، فلكل شعب أخلاقه المتفقة مع شروط وجوده، ولا يمكنه أن تحمله على أخلاق غيره أخلاقه دون تعريض نظام حياة للاضطرابات**" [1]، فتحدد القيمة الخلقية في هذا النظام على المعتقدات الإنسانية وهي نتاج السيرورة التاريخية والتكوين الثقافي لأي مجتمع، فتختلف تلك الأحكام والمعايير الأخلاقية من مجتمع لأخر وحتى أنها تتغير من شخص لأخر، ففي المجتمع الواحد نجد عدة

[1] جميل صليبا، مرجع سابق، ص 49.

أحكام متغيرة، وتتحكم في تلك النسبوية مجموعة من السندات نجد من بينها العادات والعرف، والانفتاح على الأخر بعامل الإحتكاك والتقارب بين الشعوب والثقافات.

"فالنسبويون منعدمو الثقافة بإمكانات البشر فاقدوا الأمل في تغير الإتجاهات السائدة مستسلمون لا يحاولون حتى التفكير في أسباب الهزائم، قانعون بالتقوقع في المسائل الصغيرة التافهة ولا يتعرضون للمسائل الهامة" [1]، فلا يوجد تحديد في تلك المسائل الأخلاقية ولا نظرة أفقية للمجال الإنساني، وهو ما يدعوه برغسون بالأخلاق المنغلقة، وهي التي تبقى محصورة في حيزها الجغرافي أو العقائدي فقط، فمثلا كان السارق قديما إذا سارق داخل القبيلة فإنه يجرم أما إذا سرق خارج القبيلة فإنه يلقب بكل ألقاب الرجولة والشهامة .

"فإذا كنا نرفض المطلقية التي لا ترى نسبية الأشياء فإننا نرفض كذلك النسبوية التي لا تلاحظ أي شمول، وعندما أتحدث عن الإختلافات النسبية بين شخصين أحدهما غربي والأخر صيني أو فرنسي فيجب أن أكون واعيا للأمور التي تجمعها وتشملها وهي إنسانيتهما المشتركة فكل تعريف للإنسان يشملهما" [2]. فقد يكون في أخلاقي والتزاماتي ما هو شر وأذية للأخر، فما أشيده على تصوراتي وقناعاتي قد يتنافى مع تصورات الأخر وهذا ما ينفى تلاقى وتكامل الأحكام الأخلاقية على معيار تصنيف واحد للقيم الأخلاقية.

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص ص 18- 19.

[2] إريك فروم: الإنسان لأجل ذاته، مصدر سابق، ص 10.

المبحث الثاني: الأخلاق بين الدين التسلطي والإنساني

في الكثير من الأحيان يكون الدين من بين الإختلافات التي توجد بين المجتمعات البشرية، وفي الكثير من الأحيان يؤدي ذلك التمايز الي نسبية الأمور، خاصة ماتعلق بالمعايير الأخلاقية وذلك للترابط الموجود بينهما، غير أن ذلك التمايز لا يمكن ان يقف كعقبة في التطور الإنساني وعليه نتساءل: أي الأخلاق يمكن أن تساهم في بناء النموذج الإنساني ؟

أولا: الاخلاق والدين التسلطي

"وفي فلسفة الأخلاق التسلطية تنص سلطة على ما هو خير للإنسان وتضع القوانين ومعايير السلوك" [1]، وهي كل المؤسسات والهيئات التي تجعل من الكائن الإنساني في حالة من العجز والصنمية، ينقاد من خلال مختلف القوانين والسلوكات التي رسمتها تلك الأنظمة لا توجد في قاموس مفرداته "لا" أو كل كلمة تدل في معناها عن الرفض يقول فروم **"إن الضمير السلطوي هو من الناحية الجوهرية الإستعداد لإقتفاء أوامر السلطات والتي يخضع لها المرء، إنه الطاعة العمياء المبجلة"** [2]، لا يكون الضمير في حالة الإرتياح والطمأنينة إلا إذا صاحب ذلك تنفيذ للأوامر والقواعد حتى ولو لم تتوافق مع ملكة التفكير الإنساني.

"وفي الأخلاق السلطوية ليس هناك إلا خطيئة وحيدة يتعلق الأمر بعدم الطاعة وهناك فضيلة وحيدة وهي الطاعة" [3]، فيمكن أن يجسد الدين هذا النوع من الأخلاق بحسب فروم فيري أن في فعل عدم الطاعة لأدم عليه السلام كان فعلا تحرريا وهذا التصنيف في خانة الحرية قد أقرت به كتب العهد القديم، على عكس المسيحية أقرت أن ذلك الفعل كان خطيئة يقول فروم **"هل الإنسان في جوهره شريرا وفاسدا أم أنه خير وكامل؟ لا يقول العهد القديم بفساد الإنسان من حيث الجوهر حيث لا يدعى عصيان آدم وحواء لله بالخطيئة وليس هناك في أي مكان منه ولو إشارة على أن هذا العصيان قد أفسدت الإنسان"**[4].

---

[1] إريك فروم: الإنسان لأجل ذاته، مصدر سابق، ص44.

[2] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 132.

[3] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، مصدر سابق، ص 87.

[4] إريك فروم: جوهر الإنسان، ترجمة سلام خيربك، دار الحوار، سورية، ط1، 2011، ص 16.

"**فإن الإفلاس الأخلاقي للغرب الذي بدأ في الحرب العالمية الأولى، وقاد بعده هتلر وستالين وكوفنتري وهيروشيما إلى التحضير الحالي للإبادة الكونية**" [1]، وهي أنظمة قمعية أطاحت بالقيم الأخلاقية للإنسان وحطت من إنسانيته إلى عالم الحيوان.

ويمكن تشبيه هذا النظام التسلطي بالنظام الأبيسي الذي يرى فيه فروم أنه نظام يعرقل التطور والنمو الإنساني حيث أنه لا يحمل في ثناياه أي نوع من أنواع الإستقلال ففي كل المجتمعات الأبوية تكون علاقة الإبن بالأب علاقة خضوع من جهة و من جهة اخري هي تكوين وتوجيه للمسؤولية .

فيتوجب على الإبن العمل وفق تلك القواعد والقوانين لينال في ذلك رضي الأب "**فيقول لنا الأب في داخل أنفسنا هذا ما ينبغي أن تفعله وذلك ما لا ينبغي أن تفعله وإذا أصبنا أثنى علينا ولكن بينما يتكلم الأب الذي فينا على هذا النحو تتكلم الأم التي فينا بلغة جدة مختلفة**" [2].

فتختلف لغة الأب عن لغة الأم التي ملئها الحب والعدالة " **فقد عادت البروتستانتية والكالفانية إلى الروح الأبوية الخالصة في العهد القديم، وحذفت عصر الأم من المفهوم الديني فلم يعد الإنسان محاطا بالمحبة الأمومة للكنيسة والعذراء**"[3].

فوجب إختلاط النظام الأبوي مع النظام الأمومي لأجل الوصول الي الغاية الإنسانية وتحقيق السعادة الروحية والانسجام بين الإنسان في العالم الأرضي والعالم السماوي.

"**ذلك أن دين الغرب هو دين أبسي منذ العهد القديم يقدم الله كسلطة كبيرة يجب إطاعتها على عكس البوذية مثلا التي لا يوجد فيها مثل هذا** "[4].

ففي النظام الأميسي يكون فيه الواجب عن قناعة ذاتية على عكس النظام الأبيسي الذي يكون فيه أمر الإلزام حتى ولو لم يتوافق مع العقل والتفكير الإنساني فالأم هي تجسيد لروح الإنسانية، وامتدت هذ النظام أيضا مع رجال مثل ستالين وهتلر.

---

[1] إريك فروم:جوهر الإنسان، مصدر سابق، ص 18.

[2] المصدر نفسه، ص 163.

[3] إريك فروم: حب الحياة، مصدر سابق، ص 108.

[4] حسن حمادة، مرجع سابق، ص 230.

ثانيا: الأخلاق الإنسانية ودورها في التوجيه الإنساني.

لقد إنجر عن الثورة التنويرية حداثية الإنسان لاسيما الإنسان المعاصر الغربي فقد أضحى يعتمد في نظامه الإجتماعي والإقتصادي على العقلانية الزائفة التي هي السمة البارزة والسلبية لإنسان هذا العالم، فقد أفرز هذا النظام الإجتماعي تغيرا على المستوى القيمي للإنسان وحدث معايير مخالفة لتلك المعايير التي كانت سائدة من قبل وتمثلت تلك المعايير في النجاح والتوجه التملكي وكل مظاهر القوة.

"**وبما أن للدين دورين مزدوجين فإن فشله مزدوج كذلك فالدين له مهمة شرح الطبيعة وكذا مهمة المبادئ الأخلاقية**" [1]، فقد كان للدين السماوي مهمة شرح وتفسير الطبيعة والكون من حيث الخلق والنشأ والتطور وحتى البدايات الأولى للفلسفة قد إهتمت بمسألة الوجود وعالم الكون، كما لا تخلو الفلسفة الإسلامية من تلك النظرة، وقد مثلها في ذلك الفرابي وابن سينا في نظرية الفيض، كما كان للدين حظا أوفر في إرشاد السلوك الإنساني وتحديد المعايير والقيم الأخلاقية.

غير أن فروم يري أن تلك الديانات لم تعد لها القدرة على توحيد المجتمع الإنساني نحو الحياة المعاصرة خاصة بعد تطور العلم كما أنها لا تحتوى على التطبيقي يقول في ذلك "**وبما أن الناس لم يعودوا يعيرون أي إهتمام خاص لشرح الطبيعة من طرف الدين فإن هذا الأخير قد خسر رجلا لم يبق له إلا وضيفة تقديم مسلمات أخلاقية**" [2] فقد حل محل التفسيرات الدينية للطبيعة ونشأة الإنسان تفسيرات علمية إستطاعت بها توجيه أنظار الإنسان إلى العلم بدل الدين وتمثلت تلك الحقيقة في وجهة نظر فروم في نظرية التطور عند داروين.

وبهذا إستطاع الإنسان المعاصر التخلص من التفسيرات الميتافيزيقية لعملية الخلق، كما أنه تخلص من مفاهيم السحر والشعوذة والعالم الخفي وإستبدالها بعالم التحليل النفسي "**وعن طريق الأخلاق المطبقة في الرأسمالية الحديثة قطع المرء الرجل الأخر للدين لم يعد بإمكان الدين أن يبقي محل القيم الأخلاقية**"[3] فأخلاق الكتابات السماوية في نظر فروم بقيت حبيسة الكتب ولم تعرف مجالا تطبيقيا وأنها تلاشت مع روح التنافس والكسب والربح التي إنجرت عن الرأسمالية وعن عالم التقنية أو كما سماه دين التقنية.

---

[1] إريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، مصدر سابق، ص 90.

[2] المصدر نفسه، ص 92.

[3] المصدر نفسه، ص 92.

"بقدر ما تكون الأديان الإنسانية تأليهية يكون الإله رمزا على قوى الإنسان خاصة التي تحاول تحقيقها في الحياة ولا يكون رمزا على القوة والتسلط والقدرة على الإنسان"[1]، فما أراده فروم من خلال الدين الإنساني هو تحقيق الوعي الإنساني من خلال تلك النماذج في الأديان الإنسانية وجعل الإنسان ذات مدركة للحقائق التي تحيط بها.

صحيح أن الألهة في الأديان الإنسانية هي رمز لكنها ترمز في حقيقتها إلى التجربة الإنسانية وترمز إلى الغلبة على العجز والإستسلام فهي تعبير عن قوى الإنسان الفعالة.

"والبوذية المبكرة من أفضل الأمثلة على الأديان الإنسانية، ذلك أن بوذا معلم عظيم أنه المستنير الذي أدرك حقيقة الوجود الإنساني وهو لا يتحدث باسم قوة فائقة على الطبيعة بل باسم العقل" [2].بمعنى أن تلك الحقائق والسلوكات ترسم وفقا لتجربة الإنسان المعاش هذا ما يجعلها سهلة التحقيق والإقتداء بها خاصة وأنها من عقل إنساني.

"إن قيم البوذية والطاوية ليست قائمة على الوعي من جانب كائن فائق وبصفة خاصة في البوذية، فإن مصداقية القيم مستمدة من إختبار الوضع الإنساني الأساسي المعاناة وإدراك قصده أي الشره وإدراك طريق التغلب على الشره الدرب الثماني الممرات" [3]، ويقصد بالدرب الثماني هي مجموعة القواعد والنصائح التي يتبعها الفرد للوصول إلى النارفانا بالمصطلح البوذي و التي تعنى كبح جماع النفس وشهوتها الطغيانية للوصول إلى السعادة ومن أمثلة تلك الشعب أو الدرب الثمانية (النظرة السليمة النية السليمة القول السليم العمل الطيب العيش السليم أي بمقومات الحياة الأربعة الطعام اللماس السكن الدواء الجهد الطيب الفكر السليم التركيز السليم) [4]، وكل من هذه الشعب الثمانية من شأنها تحرير الإنسان وإعادة إحيائه وبعثه من جديد، فمن خلال العيش السليم يستطيع الإنسان التخلص من حالة التلهف نحو التوجه التملكي والإستهلاكي والإكتفاء فقط بضروريات الحياة الإنسانية كما يمكن للإنسان إستعادة إنسانيته

---

[1] إريك فروم: الدين والتحليل النفسي، مصدر سابق، ص 38.

[2] المصدر نفسه، ص 39.

[3] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 140.

[4] عبد الله مصطفى: نومسوك البوذية وتاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1999، ص ص 262- 267.

من خلال التفكير السليم والتأمل الذاتي في كل الموجودات من حوله ومحاولة تكييفها مع واقعه بما يخدم جانبه الإنساني.

"**ومرحلة الإلتزام بالأخلاق البوذية وتسمى عندهم مرحلة "سيلا"*وتتضمن المنطق السليم والعمل الطيب والعيش الحلال**"[1]، وكانت هذه أهم مجمل القواعد لخمود الشهوة الإنسانية المفرطة.

فيرى فروم أن بناء القواعد والمعايير الأخلاقية يجب أن ترتبط بالحياة الإنسانية من خلال معرفة الطبيعة الإنسانية وسيرورتها العادية "**أما أساس هذا النظام فيكمن في فكرة مفادها، أن بالإمكان تحديد ما هو جيد وما هو رديء للإنسان إذا "جيد""ورديء" لا تعنى هنا ما يرغب فيه ولا يرغب فيه، كما لا تعنى ما هو جيد ورديء بمصلحته المادية بل يعنى ذلك ما شجع نمو الإنسان التام**" [2]، فالقاعدة الأخلاقية هنا تبنى على ما هو "جيد""ورديء" للإنسانية عامة، فسعي الإنسان وراء فائض الحاجة هو شيء رديء لأن الإنسان في غنى عنه حتى أنه في الكثير من الأحيان يكون مدمرا لعالم الإنسان وطبيعته .

"**يطرح فروم فهما للقيم، حيث يرى أن كل ما يساهم في نمو أعظم لقدرات الإنسان النوعية كل ما يسهل الحياة، ويكون معتبرا ذا قيمة وكل ما يخنق الحياة ويمثل الفاعلية يعتبر كشيء سلبي أو سيء**" [3]، فالخير والشر يتحدد بناء على ما هو إيجابي وسلبي للإنسان، فما يضر بالإنسان الغربي هو نفسه يضر الإنسان العربي، لذا وجب الموازنة بين الجانب العقلي والجانب الروحي خاصة في تلك الإختراعات والتجارب العلمية التي لا تراعي في طبيعتها إلى الجانب النفسي والشعوري للإنسان، ففي حالة إنفصال الجانب العقلي عن النفسي يعيش المجتمع في حالة من الجنون أو الفصام كما أشار إليها فروم "**ها هو بالتأكيد المبدأ الأساسي= يجب ألا نفعل بالآخرين ما لا نود أن يفعلوه بنا "أنا لكتس 23 _ 15 الكونفوشيوسية**"[4]ففي فعل تحريم سلوك ما لأنه يعود على الإنسان وعلى شخص بالضرر يتطلب منا في بادئ الأمر خلوه ونفيه من طموحاتي أفعالي، فتسعى أمريكا للتسابق نحو التسلح وإكتساب النووي بينما ترى في فعل الأخر للتسلح هو جريمة ضد الإنسانية.

***سيلا**: في اللغة الباليه تعنى قاعدة السلوك أنظر :عبد الله نومسك، مرجع سابق، ص263.

[1] المرجع نفسه، ص263.

[2] إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ترجمة: فؤاد كمال، دار غريب، القاهرة، د ط، د ت ، ص 77.

[3] فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، مرجع سابق، ص 542.

[4] جان ماري بيلت: عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة السيد محمد عثمان، عالم المعرفة، الكويت، د ط، د ت، ص 248.

فالأخلاقية الإنسانية تسعى إلى تحقيق العدل الشامل اللإنسانية جمعاء رغم الإختلافات العرقية والدينية والتاريخية إلا أننا نشترك في الإسم نفسه وهو الإنسان "**وبالعودة إلى التراث العظيم الفلسفة الأخلاق الإنسانية التي نظرت إلى الإنسان في كليته الجسدية والروحية مؤمنة أن غاية الإنسان هي أن يكون ذاته**"[1] هنا يؤكد فروم ان كل الاخلاق الصادرة عن الفلسفات والديانات الإنسانية مثال ذلك الطاوية الكونفشيوسية البوذية هي عبارة سلوكات تتوافق وقدرة الإنسان.

[1] إريك فروم: الإنسان لأجل ذاته، مصدر سابق، ص 41.

المبحث الثالث: الحب كقيمة إنسانية.

يعتبر الحب قيمة إنسانية روحية تكتسي الأهمية الكبيرة في حاضرنا المعاصر خاصة في ضل التطور التكنولوجي والتزايد العدواني، لذلك وجب تفعيلها و إعادة بعثها لبناء حضارة إنسانية متكاملة خالية من كل مظاهر الصراع والعدوان وفي هذا نتسائل: ما هو الحب وماهي اشكاله ومظاهره؟

أولا: تعريف الحب

تعريف الحب: (الحب نشاط وليس شعورا سلبيا إنه الوقوف وليس الوقوع وبأشد الطرق عمومية يمكن وصف الطابع الإيجابي للحب بقولنا أن الحب هو العطاء أساسا وليس التلقي) [1]، فيجب أن يكون الحب إيجابي في معناه ومغزاه بعيدا عن الأنانية والنرجسية يقول فروم "**فماذا يعطى الإنسان الآخر؟ إنه يعطى من نفسه من أثمن ما يملك إنه يعطى من حياته وليس هذا يعنى بالضرورة أنه يضحى بحياته للآخر لأنه يعنى أن يعطيه من ذلك الشيء الحي فيه**" [2]، ففي فعل العطاء وما يمنحه الإنسان للأخر أو للعالم يكون بذلك قد ضمن فعل التلقي، فمثلا لو كرس الإنسان كل مجهوداته من أجل الوطن وخدمتها فإنه بذلك سيضمن وسيتلقى تلك النتيجة وهي الأمن والسلام، والحب موضوع قديم قدم الإنسانية متنوع بتنوع المواضيع والمجالات فنجده في الموضوع الأدبي خاصة ما يعرف بالحب العذري أو العفيف وما جسدته القصص العربية والنصوص الشعرية مثل قصة مجنون ليلى يقول في ذلك :

"**أناخ هوى ليلى به فأذابه ومن ذا يطيق الصبر عن مجمل الحب**"[3].

فهو تعبير عن المشاعر والعواطف الجياشة الصادقة منطلقة من الذات لمحاولة الوصول إلى الآخر أو من الأنا إلى الأخر الذي يعتبر مكمل لتلك "الأنا"، وأخذ عناصرها الأساسية ليصبح الإثنان واحد غير أنه في الكثير من الأحيان لا تتحقق الأماني ولا تنال السعادة المرجوة فتزداد بذلك المعاناة والألم وهو ما ساهم في التعريف بتلك القصص والشخصيات. أما في الجانب الفلسفي فيزخر بالكثير من المعاني والمغامرات عن مشكلة الحب بدءا من الحقبة اليونانية إلى يومنا هذا أين تعددت ألوانه وأشكاله.

---

[1] إريك فروم: فن الحب بحث في طبيعة الحب وأشكاله، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة بيروت، د ط، 2000، ص ص 29_30.

[2] إريك فروم: فن الحب، مصدر نفسه، ص 31.

[3] أبي بكر الوالبي: ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص 37.

الحب الأفلاطوني: يقول أفلاطون "**فالرجل الفاسد هو الذي يتجه إلى الحب العامي أعنى عشق الجسد لا الروح سواء أكان هذا الجسد لإمرأة أو الغلام، فهو ليس مخلصا في حبه ولا بثابت في عهده لأن ما يعشقه ليس بثابت**" [1]، وهنا يدعوا أفلاطون إلى الإرتفاع والسمو عن الحب الجسدي الحسي إلى الحب الروحي الذي هو أحد مظاهر العالم المثالي، وفي هذا الحب يمكننا أن ندرك ضلال العالم المثالي الذي هو غاية الإنسان، كما أنه يدعو إلى عدم التوجه نحو العشق الجسدي وتتبع مفاتن الجسد لأنها زائلة وقابلة للزوال في أي لحظة، وفي حالة زوال ذلك الجمال فإن عاطفة الحب تنتهي لأن الشيء الذي كان يأسر ذلك الحب قد فك وثاقه وتحطمت أغلاله.

"**أما الحب النبيل فهو يبقى حبه ما بقى على قيد الحياة لأن ما يهواه باق ما بقيت الحياة**" [2] وهو انجذاب روحي دائم يتصف بكل مظاهر الشدة وهو ديمومة لا تعرف الإنقطاع على حد تعبير برغسون فالحب الروحي هو الذي يضمن إستمرارية تدفق الحب والألفة، فالجمال في نظر أفلاطون هو ما إرتبط بالخير " **ولا يعون أن محفزهم للبحث هو الجمال أو الخير فيعيشون في جهل وعدم القدرة علي الحب بشكل امثل**"[3] ومن هنا نفهم بأن الحب عند أفلاطون هو الحب الروحي الذي لا يرتبط بجمال الصور وانما يرتبط بالخير الكفيل بتحقيق السعادة، وفي حالة إرتباط الإنسان بجمل الشكل فإنه لا يكتفي بشكل واحد وإنما يتجه إلى عاطفة التملك لكل الأشكال والأنواع فيتنقل من أنثى لأخرى كفراشة تنتقل من زهرة لزهرة "**فالحب عنده يهدف إلى السعادة وليس إلى الإكتفاء بأسبوع عابر لنزوة شهواتية إنما في إرضاء وتجديد رغبة**"[4].

أما الحب عند القديس أو غسطين "**وعلى حين أن المحبة Caritas هي النزوع نحو الله، والتصاعد نحو الكمال الأسمى، نجد أن الشهوة sapidités هي حب الأدنى أو حب العالم أو الهبوط إلى الزمان، وحينما يتجه الإنسان محبه نحو العالم المادي الزماني، فهناك تنحرف إرادته ويصبح هو نفسه معوجا curateurs، وكما أننا حين نحب الله فإننا نصبح على صورته ومثاله فكذلك حين نحب العالم فإننا نصبح على صورته ومثاله**" [5]، فقد فرق أوغسطين بين الحب الذي يتجه بمشاعره نحو الله

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ط2، 1996، ص 113.

[2] المرجع نفسه، ص 113.

[3] إعداد نور اليوسف: الحب الأفلاطوني، موقع الباحثون السوريون، الفلسفة والعلوم الاجتماعية، لندن، في 01-09-2014، ص 2.

[4] ماري لومنيه: الفلاسفة والحب، ترجمة: دنيا مندور، دار التنوير، القاهرة، ط1، 2005ص25.

[5] زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، دار مصر، مصر، ط3، 1980، ص 158.

وهو الحب النزيه عكس الحب الذي يتجه في أحاسيسه إلى العالم أو المخلوق، ويقصد في ذلك الإستجابة إلى شهواته فهو بذلك ينحط إلى مرتبة الحيوانية.

كما أن أوغسطين يفرق بين الحب الإيروسى وهو الذي يمثل غريزة الجنس في أغلب محتوياتها وهو تمجيد الذات، والنزعة الإيروسة هي علاقة أفقية، تطور هذا المفهوم وشاع تداوله في الفلسفة اليونانية أما الحب عند المسحيين فقد عرف شكلا آخر من الحب وهو الأجابية والتي تعنى في مجملها التسامي عن الحب الجنسي والشهواني، ونكران الذات من أجل الدفاع عن الآخر وهي علاقة عمودية بين الإنسان والله، فيجعل الإنسان حبه الأكبر وشغله الشاغل الوصول إلى الحب الإلهي، يقول أوغسطين "**هل من مكان أو زمان لا يجوز للإنسان فيهما أن يحب من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل عقله**" [1]، فيمكننا وصف الحالة الشعورية للقديس أوغسطين وحبه لله بالحالة الشعورية عند المتصوفة المسلمين أمثال الحلاج وإبن عربي، وهي حالة الزهد والورع والإبتعاد عن كل ملذات الدنيا والتعلق فقط بالله والحياة الآخرة، أو هي نفس الحالة الشعورية عند رابعة العدوية التي يلقبها عبد الرحمان بدوى في كتاب خصص لها بأنها شهيدة العشق الألهي في أحدى قصائدها تقول:

"كما بدت منة وكم لك عندى من عطاء ونعمة وأيادي

حبك الأن بغيتي ونعيمي وجلاء لعين قلبي الصادي

إن تكن راضيا علي فإنى يامنى القلب قد بدا اسعادي"[2].

فكانت كل أشعار رابعة العدوية هي عبارة عن مناجات وتعابير عن أحاسيسها تريد من خلال ذلك أن تضمن محبة الله ورضاه فاختارت بذلك طريق التصرف والزهد لنيل ذاك الهدف.

وكانت هذه بعض الأمثلة والنماذج عن الحب بإختلاف مجالاته وإختلافه من عصر لعصر ومن عقيدة لأخرى وبذلك تتغير الأحاسيس الإنسانية، فمنها ما يأخذ الحب شكل التملك والتعبد والعبودية ومنه من يأخذ شكل الإستغلال والتحرر.

---

[1] أوغسطين: إعترافات أغوسطونيوس، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، لبنان، ط4، 1991، ص 51.

[2] عبد الرحمان بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، مكتبة النهضة، مصر، ط3، 1962، ص 24.

ويعرف إكسل هونيث الحب بأنه "**مجموعة من العلاقات الأولية الإيروسية والأسرية وعلاقات الصداقة الموجودة بين الناس**" [1]، فنهم من هذا أن الحب هو الرابطة الأساسية التي تجمع هؤلاء، وقد إعتبرها هونيث شكلا من أشكالا الإعتراف بالأخر وتحقيق الإنسجام بين الذوات المتفرقة.

فالحب هو تعبير عن إرادة الحياة وحبها فإذا أراد الإنسان العيش وتحقيق السلام فإنه يعطي كل مجهوداته مادية كانت أو معنوية من أجل توطيد علاقته بالأخر وبالطبيعة والعالم ككل، فكان لزاما على هذا الإنسان أن يبسط يده المسالمة للأخر من أجل نيل شرف الحياة والوجود.

اما الحب عند اريك فروم "**فإن الإنسان يظهر منبهرا أمام الآلات التقنية في المجتمعات الأكثر تصنيعا عوض أن يكون منبهرا بالموجودات الحية والصيرورات الحيوية بالنسبة للكثير من الرجال فإن سيارة رياضية تكون أحسن من إمرأة** " [2]، فانجذب الإنسان نحو الآلات والتطور التكنولوجي وحب التملك، وهي صفات من شأنها إماتة النشاط والحركية في الإنسان فقد عقد قرانه بآخر الإصدارات عوض أن يعقد قرانه مع الحياة، فالحب هو النزعة الإنسانية التي تقضي إلى التعايش السلمي بين كل المجتمعات والطوائف فما يجمعنا أكثر من ما يفرقنا.

"**يمكن للإنسان الوصول إلى وحدته دون الرجوع إلى الوراء عن طريق تطوير قوته الإنسانية الخاصة للعقل والحب، وبمقدار يصبح العالم منزله إذن سيصبح الإنسان كاملا وسيعيش في تناسق لإنسجام جديد مع ذاته ومع الناس الآخرين ومع الطبيعية**"[3] فكلما ربط الإنسان نتائجه العقلية بأحاسيسه العاطفية تجاه نفسه والأخر كلما زادت إنسانيته وشملت ثمرة هذا الجهد العالم أجمع، فمهما إختلفت الثقافات وتعددت الأعراف والأجناس كان لزاما على الإنسان أن يرتبط بالأخر ويندمج معه ليشاركه الحياة بأصدق التعابير والمشاعر، ويجعل من وجوده حقيقة إنسانية فإذا كان هدف الإنسان هو العيش وفق الظروف الإنسانية فيتوجب عليه أن يسلك طريقا تسمو عن الماديات وعن كل ما يدنس تلك الحياة.

ثانيا: عناصر وأساسيات الحب.

---

[1] كمال بومنير: أكسل هونيث فيلسوف الإعتراف منتدي المعارف، بيروت، ط1، 2015، ص 52.

[2] إريك فروم: حب الحياة، مصدر سابق، ص 134.

[3] المصدر نفسه،ص 154.

لا يمكن لأي إنسان أن يدرك حقيقة الحب وهدفه إلا إذا صاحب ذلك الحب أربع عناصر أساسية في نظر فروم هي التمظهرات الدالة على نشاط الحب وهي الرعاية المسؤولية الإحترام المعرفة! .

1. الرعاية:

"**الحب هو الإهتمام الفعال بحياة ونمو ذلك الذي نحبه وحيث ينقص هذا الإهتمام الفعال لا يكون هناك حب**" [1]، فالرعاية هي الأساس الأول الذي من خلاله يوجد الحب وتوجد مع الحياة، وقد وضح فروم العلاقة بين الرعاية والحب من خلال تشبيه ذلك برعاية الأم لإبنها، ويكون ذلك من خلال الإهتمام به توفير حاجياته الأساسية، فلا يمكن أن تحكم على الأم أنها تحب طفلها إلا إذا تجلت تلك الرعاية للعيان وقد تظهر مثلا في نظافة الملبس، فتتطلب الرعاية النشاط الفاعل الذي يضمن سلامة الحياة الإنسانية.

تقتضي الرعاية العمل والسهر من أجل الموضوع أو الشيء المراد الوصول إليه يقول فروم "**إن ماهية الحب هي العمل من أجل شيء أو أن يجعل شيئا ينمو وأن الحب والعمل لا ينفصلان فالإنسان يحب ذلك الذي يعمل من أجله والإنسان يعمل لذلك الذي يحب من أجله**" [2]، فإذا لم يصاحب العمل الحب يسير الإنسان إلى حالة العجز والقلق.

2. المسؤولية:

"**إن الرعاية والعناية تتضمنان جانبا آخر للحب هو جانب المسؤولية، المسؤولية اليوم تعنى في الغالب الإشارة إلى الواجب الإشارة إلى شيء مفروض على الإنسان من خارج، لكن المسؤولية في معناها الحقيقي هي فعل إرادي تماما**"[3]، فالواجب هو الفعل المفروض على الإنسان يحمل فعل الإلزام " **إن الواجب هو مفهوم في عالم عدم الحرية بينما المسؤولية هي مفهوم في عالم الحرية**" [4] فالواجب قد يرتبط بالجانب السلطوي كما أشار إليه فروم بمعنى أنك تفعل الفعل لأنه مفروض عليك من هيئة أو سلطة، بينما

---

[1] إريك فروم: حب الحياة، مصدر سابق، ص33.

[2] إريك فروم: فن الحب، مصدر سابق، ص 33.

[3] إريك فروم: فن الحب، مصدر سابق، ص34.

[4] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق ص 132.

تحمل المسؤولية في معناها الجانب الإنساني فأفعل الفعل لأنه باستطاعتي عمل ذلك وتكون المسؤولية شريفة نزيهة من كل غاية ذاتية، تهدف في مجملها إلى الغاية أو الصالح العام وهي الغاية الإنسانية.

"إن المسؤولية يمكن بسهولة أن تتدهور إلى الهيمنة والتملك إذا لم تتألف من العنصر الثالث للحب ألا وهو الإحترام"[1]، فيجب أن يرتبط الفعل بالوعي والحرية وأن يرتبط بالعقل والقيم الأخلاقية لتجنب الإنحراف، كما ترتبط المسؤولية في مواطن كثيرة بقدرة التكليف ومنه قوله عز وجل **"لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به"** [2]، وهنا إشارة الى أنه في وجود القدرة والإستطاعة يترتب على الإنسان التكليف والمسؤولية سواء كانت تلك المسؤولية بينه وبين الله أو بينه وبين الأخر، وفي هذا يرى فروم أنه إذا كان بإمكان الإنسان تقديم الأفضل لعالمه فإنه مطالب لا من ناحية السلطة وإنما من واجب إنساني.

3-الإحترام:

"ليس الإحترام خوفا وخشية إنما يشير تماشيا مع جذور الكلمة Respicere تعنى التطلع إلى القدرة على رؤية شخص كما هو وإدراك فردانيته المتفردة، الإحترام يعنى الإهتمام بأن الشخص الآخر إنما ينمو ويكتشف على نحو ما هو عليه " [3] والإحترام خطوة رئيسية وهامة في عملية الإعتراف، فإحترام هويتي وثقافتي هو ما يسمح لي بالتعرف على ذاتي وعلى الآخر في هذه الحالة يكون الأخر كما قال سارتر هو "مرآتي" أما إحترام الخشية والخوف كما سماه فروم هو ذلك الإحترام الذي قد تفرضه السلطة سواء كانت الدينية أو السياسية منها، وهذا النوع من الإحترام لا يمكنه أن يبني حضارة طويلة الأمد، ومن هذا النوع تنجم الخصومات والإعتراضات والثورات في حالة إستفاقة الوعي **"لن يوجد ما يدعو إلى الدهشة عندما تهتدي علاقات الحب الإنساني بأنموذج المقايضة نفسه الذي يحكم السلعة والسوق العمل"** [4]، فالإحترام من شأنه أن يرجع للإنسان ذاتيته وأحاسيسه الإنسانية كما يمهد إلى طريق التعارف والتعايش بين الشعوب رغم الإختلافات، ويرى هونيث أن التوسع في مجال الحقوق وتطورها من مجال لآخر بدءا بالحقوق المدنية

---

[1] المصدر سابق ص 34.

[4] إريك فروم: فن الحب، مصدر سابق، ص 35.

[4] فارس كمال: نضمي الحب الرومنسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار اراس للطباعة والنشر، العراق ، ط1، 2008، ص 102.

والاجتماعية ثم السياسية، إستطاع الإنسان بذلك أن يحقق ذاته كفرد إنساني يقول في ذلك "**نستطيع القول بأن الفرد يكتسب من خلال تجربة الإحتراف القانوني إمكانية فهم أفعاله كتجل محترم من طرف جميع الناس لإستقلاله الذاتي (...) وحقوقه المشروعة تجعله يشعر بإحترام ذاته لأنه جدير باحترام الذوات الأخرى بالتأكيد مع ظهور الحقوق الأساسية الكونية**" [1]، وهو نوع من التقدير يسعى الإنسان المعاصرإلى نيله خاصة في إزدياد مظاهر القمع التقني والسلطوي.

3-المعرفة:

"**لا يكون إحترام الشخص ممكنا بدون معرفته، ستكون الرعاية والمسؤولية عمياوين إذا لم يسترشدا بالمعرفة وستكون المعرفة خواء إذا لم يبعثها الاهتمام**" [2].ويقصد فروم بالمعرفة تلك الخصائص والمميزات التي تميزني عن غيري او تميز غيري عني، ففي معرفة خصائص ومميزات الآخر أكون قد إستطعت معرفة ما يحرجه "**وكل المعرفة للشخص الآخر هي معرفة حقيقة وحسب إذا كانت قائمة على معايشتي في نفس ذلك ما يعايشه هو فإذا لم تكن الحالة هكذا ويضل الشخص موضوعا فإنني قد أعرف كثيرا عنه ولكنني (لا أعرفه هو**" [3]، وهنا فروم يدعو إلى معايشة التجربة الإنسانية التي تسمح لي بمعرفة الآخر والغوص في أعماقه حتى نستخلص خصائصه الطبيعية ومميزاته الإنسانية.

"**وهذه التجربة تتطلب أن نحرر أنفسنا من الحيز الضيق لكوننا لا نرتبط إلا بهؤلاء الذين هم أليفون منا، أما بحكم أنهم أقارب بعلاقات الدم وبمعنى أوسع أننا نأكل الطعام نفسه ونتحدث اللغة نفسه**" [4]، وفي هذا دعوة صريحة من فروم إلى الإنسان بالخروج من الروابط القومية والإقلمية إلى روابط إنسانية عالمية تعيد للإنسان مجده وقد أشار فروم إلى أن ذلك النفاذ إلى الآخر من أجل المعرفة لا يجب أن يكون في شكل تسلطي أو إستعماري وإنما من خلال التجربة الشخصية.

---

[1] كمال بومنير: أكسل هونيث فيلسوف الإعتراف، مرجع سابق، ص ص 58 _ 59.

[2] المرجنفسه، ص 34.

[3] إريك فروم: ثورة الأمل، مصدر سابق، ص 129.

[4] المصدر نفسه، ص 130.

ثالثا: الحب والتكافل الإجتماعي.

"**في المجتمع الذي لا تكون فيه سيطرة لشخص على آخر يؤدي كل شخص وظائفة على أساس التعاون والتبادل، فلا أحد يستطيع أن يأمر شخصا آخر إلا بمقدار ما تكون العلاقة قائمة على التعاون المتبادل، أو الحب والصداقة أو الروابط الطبيعية**" [1]، فتتطلب الحياة الإنسانية لتجسيد أسمى معانيهاكل أنواع التكافل والتعاون القائم على الروابط الإنسانية لا على روابط الدم أو اللغة.

فالتعاون هو تجسيد أو هو صورة من صور الحب الذي يكنه الإنسان للمجتمع الإنساني لبناء حاضر ومستقبل خال من كل أشكال الهيمنة والصراع الطبقي، فلا يمكن أن نتصور مفهوما للتعاون إلا إذا صاحب ذلك مفهوما خاصا يعبر عن فن العيش والوجود، وهي الصداقة التي تقوم جزئياتها على التفاعل والتجاذب بين الطرفين ويعرفها لالاند على أنها "**ميل إنتقالي متبادل بين شخصين معنويين ويقابل الحب ويناقضه بإنعدام الطابع الجنسي**"[2]، فوجود طرف مبادل هو ما يعزز تلك الصداقة ويزيد في صلابتها.

وقد أخد مفهوم الصداقة حيزا واسعا في الفكر الفلسفي بدءا من أرسطوا إلى الرواقين ويميز أرسطو بين ثلاث أنواع من الصداقات "**تنقسم بدورها إلى عدة أنواع الصداقة التي يكون موضوعها الإنس وتلك التي يكون موضوعها المصلحة والتي يكون موضوعها الخير المعنوي**" [3]، فالصداقة في التعبير عن الحياة خاصة إذا كانت نزيهة ومترفعة عن الذاتية والأنانية.

فيرى فروم أن المجتمع أو الإنسان الذي نطمح إليه هو الإنسان المتعاون يقول في ذلك "**ما هو نوع الإنسان الذي يحتاج مجتمعنا لكي يعمل دون مشاكل إنه في حاجة إلى إناس يكون بإمكانهم التعاون في مجموعات كبيرة**[4]، وهنا إشار إلى الطابع الشمولي في عملية التعاون.

كما قد يحيلنا مفهوم التعاون والصداقة إلى مفهوم أخر في فلسفة فروم، وهو التضامن الذي قد عرف أشكالا وأنواعا أخرى بعدما إنهارت القواعد والقيم الأخلاقية والروحية للإنسان المعاصر في عالم التصنيع (**أنهارت القواعد الإجتماعية والأخلاقية للتضامن الإنساني، وكانت أهمية الحياة تكمن في أن يكون المرء**

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص ص 203 _ 204.

[2] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل، عويدات للنشر، بيروت، ط1، 2001، ص 52.

[3] اندريه لالاند، مرجع سابق، ص 52.

[4] إريك فروم: حب الحياة، مصدر سابق، ص 131.

الأول في السباق التنافس) [1]، فقد أولى الإنسان المعاصر خاصة في النظام الرأسمالي الأولوية لمعايير السوق التي تقوم على المبادلة والربح .

وقد حظي مفهوم التضامن قسطا وفيرا من فلسفة الإعتراف لأكسل هونيث حيث إعتبره الشكل الثالث من أشكال الإعتراف بعد مفهومي الحب والحق "**أما إذا غاب أو أنعدم هذا الشكل من الإستحقاق الإجتماعي فقد يصاب المرء بضرر نفسي ومشاعر السلبية كالغضب أو الإحباط على سبيل المثال**" [2]، فما أقدمه للأخر في الظروف القاسية سواء كانت ذلك الإسهام ماديا ومعنويا من خلال التآزر هو شكل من أشكال التضامن أو التقدير الإجتماعي كما وصفه أكسل هونيث كما أنه تعبير عن النزعة الإنسانية التي بداخلي.

وفي الأخير إن الحل الذي قدمه فروم للإنسان المعاصر يكمن في توظيف الجانب الروحي والقيمي معتمدا في ذلك على المشكلة الأخلاقية والحب، حيث يعتبر أن الأخلاق الإنسانية هي السبيل الوحيد لإحساس الإنسان بذاته وإعادة إرجاعه إلى وعيه، خاصة وأنها تقوم على التجربة الشخصية لأنها في مجملها تتوافق مع العقل الإنساني وخاصية التفكير أما عن الدين السلطوي ويقصد بها الدين السماوي في أغلب المواضيع فهو دين يقوم على فضيلة الطاعة والخضوع خاصة قبل الإصلاح الديني.

أما الدين الإنساني وما يشيد وستشهد به فروم حتى يصل إلى درجة الإعجاب هو الديانة البوذية كونها تعبر عن العقل الإنساني حتى وإن كان يعتبر بوذا رمزا إلهيا إلا أنه يعبر عن القوة الإنسانية التي يمكنها أن تصل إلى تحديد المعايير والقيم الأخلاقية التي تتناسب مع الإنسان، ويحدد فروم مبدأه للأخلاق الإنسانية على مبدأ أن الخير ما هو جيد وصالح لحياة ونماء الإنسان والإنسانية، والشر هو ما يعيق حركة النمو والتطور الإنساني.

أما الجانب الروحي الثاني فقد حدده فروم في مشكلة الحب والتي تقوم على التبادل والتفاعل بين الأطراف ولكي يمكننا معرفة الحب وجب علينا معرفة عناصره الأربعة التي تتمثل في الإهتمام أو الرعاية وقد شبهها فروم برعاية الأم لإبنها أو إهتمام البستاني أو الفلاح بمزرعته ومنتجاته لإستخلاص أجود الثمار وأطيبها، فالعنصر الثاني يتمثل في المسؤولية ومشكلة الفرق بينها وبين الواجب حيث ينتمي فكرة الواجب

---

[1] إريك فروم: المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 198.

[2] كمال بومنير: أكسل هونيث فيلسوف الإعتراف، مرجع سابق، ص 60.

إلى الجانب السلطوي وهي التقيد والعمل وفق القواعد والقوانين التي قد سنها النظام السلطوي أما المسؤولية تنتمي وترتبط بالضمير الإنساني أو على حد تعبير كانط هو إلزام نفرضه على أنفسنا بمحض إرادتنا لأننا نحمل في أنفسنا خاصية الإستطاعة والقدرة لتوفير ذلك الجانب الإنساني وتحقيقه أما العنصر الثالث والرابع فيمكننا أن نصفها بمشكلة الإعتراف كما يحددها أكسل هونيث حيث يقوم كل من العنصر الثالث والرابع على فكرة الإحترام والمعرفة.فلا يمكني أن أحترم الأخر إلا إذا كنت على دراية وإحاطة بكل جوانبه وخصائصه التي تشكله وتميزه عن غيره.

فقد حددنا القيمة الإنسانية التي ترتبط في غالب الأحيان بمشكلة الحب وهي فكرة التعاون والتضامن وهما نوعين من أنواع التكافل الاجتماعي، وفي ضل تحقيق وتوافر كل من الحب والأخلاق قد يصل الإنسان إلى السعادة ويتخلى عن قلقه وبحثه عن مصيره المفقود في عالم التكنولوجيا والأنظمة الإقتصادية الكبرى.

خاتمة

خاتمة

لقد استطاع فروم أن يشخص الحالة المرضية لإنسان العصر المعاصر ولكل مظاهر هذه الحضارة وأوهامها التي خلقت مجتمعا لا إنسانيا منعدم التماسك بين أفراده، مجتمع يعد فيه كل فرد ذرة منفصلة عن الأخر فرغم حالة الترف التي يعيشها هذا إلا أنه يعاني من الإحباط والعجز جراء التزايد الخطير لتلك الوسائل والأدوات الغير إنسانية التي عرفت تطورا سريعا خاصة بعد الثورة الصناعية، هذه الأخيرة أحلت الآلة التيكنولوجية محل الإنسان البشري وانحراف العقل الإنساني إلى عقل أداتي وسيلة يسعى إلى تكريس الهيمنة على الطبيعة وعلى الإنسان فاعتبر هذا الإنسان وسيلة لتحقيق غاية مهما كانت نتائجها فالأهم هو إشباع الغرائز الأنانية المنفردة فبعد أن حرر الإنسان نفسه من دائرة التسلط الكنسي وحالة الجمود الفكري الذي ساد تلك المرحلة البشرية وجد نفسه داخل دائرة تسلط أخرى لا تقل خطورة على الأولى.

بعد أن كانت حربه ومطالبه تنادي بالمساوات بين الأجناس البشرية وإعلاء كلمة ومنطق العقل وهي مطالب لإنسان الحداثة وقع في ثغرات تلك المبادئ التي فاجأت هذا الإنسان بمظاهر لا عقلانية تسعى إلى تأسيس عالم خيالي قبل التفكير فيه عقلايا وشعوريا.

يرى فروم إن الإنسان في المجتمع الصناعي قد انشغل بالتفكير في الفائض عن الحاجة السلبي الذي هو في غنى عنه فانشعل مثلا بالحياة في المريخ دون تعمير هذه الأرض، فحتى وإذا كان ذلك مهما فالأهم من ذلك هو غرس النزعة الإنسانية في هذا الإنسان كما أن هذا النظام الصناعي جعل الإنسان يعيش في جو طبقي بين الإنسان وأخيه الإنسان سواء كان ذلك داخل المجتمع الواحد أو بين الشعوب والأمم المختلفة مما أحدث حالة من التبعية بين تلك الأفراد.

أكد فروم على أن الحالة التي يعيشها الإنسان الصناعي لا يمكننا أن نصفها بالحرية بل هي مجرد خداع نفسي فالآلة التقنية قد زادت من تضليل هذا الإنسان وتوجيهه نحو ما تريد وكان ذلك من خلال وسائل الإعلام والدعاية التي تطمح في مجملها إلى فكرة التنميط والتغليف وجعل الإنسان واحدا كما أنها تعلن عن الحقيقة التي كانت قد رسمتها في المختبرات فغابت النظرة النقدية عن فكره فهدفه من ذلك هو تسوية الاختلافات الثقافية والهوية وتكيفه على طابع واحد إن هذا النظام يعطي للإنسان وهم الحرية فلا يمكن لهذا الإنسان الاختيار من ألوان الطبيعية سوى اللونين الأبيض والأسود فحتى في حالة الاختيار فإنه يختار ما صمم له.

افتتن الإنسان في المجتمع الصناعي بكل ما هو تقنى حتى أنه يعرف بالإنسان الآلي لأنه أعلى من قيمة تلك الآلة فالحقيقة والأصيل وماله ثقة في نضره هو ما هو تقني لأنه انجذب هذا الإنسان نحوها وأصبحت كل تحركاته في الاتجاه الذي تعلنه تلك الآلة الجهنمية فغابت من خصوصياته التفردية والتلقائية.

يعيش هذا الإنسان في حالة من الخواء والعدم فهو في حالة صراع دائم محاولا فرض ذاته في ذلك الوجود فقد ارتبط بعالم الأشياء والمقتنيات عله يجد فيها ضالته أي ذاته وهو ما أسقطه في حالة من الوثنية والجاهلية الأولى وقد طور دينا جديدا على حد تعبير فروم أسماه "دين التقنية" يعبد فيه النزعة التملكية والتوجه الاستهلاكي طمعا في تحقيق ذاته وتخليص ذاته من ذلك الخواء والملل الذي يهدد حياته النفسية فاتسمت حياة الإنسان بطابع الشيء فأضحت كل علاقات الإنسان بأخيه تأخذ طابع التبادلي السلعة وما يقابلها من ثمن.

يصنف فروم هذا المجتمع بالقطيع تارة ويصفه تارة أخرى بالحشد وهي مصطلحات ومفاهيم تعبر وتماثل تلك المصطلحات التي تعبر عن النظام التسلطي لهتلر وستالين حيث يتغير لفظ المواطنين إلى لفظ الجماهير التي تنعدم فيهم الحرية ويسهل فيهم الانقياد وذلك لانعدام التماسك بين أفراده.

يطرح فروم مجموعة من الحلول تكمن في التوجه إلى الرؤية النقدية من خلال الكشف عن كل الخفايا التي قد تعيق تطور الإنسان وبناءه ويكون هذا النقد نقدا بناءا يتجه نحو خطورة تلك الأشياء وكذلك الابتعاد من التفائل الساذج أو التشائم المفرط وكذا التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية لتحقيق إنسان سوي حال من حالة الانفصال.

أما الأساس الحقيقي والذي يعبر عن جوهر الوجود وعن كينونة الإنسان هو تفعيل الجانب الروحي للإنسان من خلال ازدواجية الأخلاق والحب، فالأخلاق هي التي يمكنها إخراج الإنسان من مأزقه المادي والأخلاق الإنسانية القائمة على التجربة الإنسانية ويضرب لنا مثلا بالأخلاق البوذية، أما الحب فهو تفاعل إنساني بين الذوات الإنسانية القائمة على الاحترام والحب هو كاعتراف بالأخرين من حيث مكوناته وثقافته أما ما نشرك فيه في كل هذا الاختلاف هو إنسانية الإنسان الذي يتوجب على كل فرد المشاركة في هذه المسؤولية.

يسعى فروم من هذا كله الوصول إلى الإنسان الكوني أو الإنسان العالمي فرغم الاختلافات الثقافية والدينية ورغم شساعة المدة الزمنية والأميال الكيلومترية التي تفصلنا عن بعضنا البعض إلا أن ما يجمعنا أكثر مما

يفرقنا فصفة الإنسانية تجمعنا في النقطة الواحدة وهي الأرض الحاضنة الأساسية لعالم الإنسان لهذا وجب علينا التفاعل لبناء وتعمير ما يخدم صالح الإنسانية جمعاء يقول فروم" فالإنسان المثالي بالنسبة للنهضة هو الإنسان الكوني الإنسان المتعدد والضليع في كل جوانبه أكثر من هذا ففي كل فرد على حدة تتحقق الإنسانية كل إنسان يحمل في ذاته الإنسانية بكاملها" فنعيش في حالة تعاقد اجتماعي نكون فيه أوفياء للإنسانية متوحدين في تجمع يعي فيه كل إنسان ذاته ونعي فيه الآخرين.

يقول فروم "إن فقد الإنسان الاتصال بالجماعة الاجتماعية التي يعيش فيها أصبح خائفا من العزلة المطبقة وسبب هذا الخوف لا يجرؤ على التفكير فيما لا يفكر فيه بيد أن الإنسان يخشى إلى ذلك أن ينعزل كل الانعزال عن الإنسانية التي هي في داخلها ويمثلها ضميره".

وهنا إشارة إلى الإنسان الثلاثي الأبعاد كما عبر عنه محمود منقذ الهاشمي في مقدمة كتاب المجتمع السوي وهو الإنسان الذي يتوجد في الجماعة ولا يعني هذا أن يتناول عن خصوصياته وفكرة الجماعة كما لا يعنى تواجده مع الإنسانية والعالمية من خلال امتثاله الكلي أو ذوبانه بحيث لا يصبح فيه مجال للتفريق بين الهويات الثقافية فلا ينعزل الفرد وينطوي على ذاته لتحقيق شخصيته كما أنه لا يتماثل ويذوب مع الأخر المختلف عنه ليضمن أمنه.

فالإنسان الكوني هو الفضاء الواسع الذي يشمل الأخر ويشمل فردانيتي ويشمل كل النزعات الإنسانية من حب وخير وتعاون وتسامح فكل المعاني والدلالات التي تشكل مفهوم الحرية والاحترام هي جزء من الكل أما الإنسان العالمي هو الأمل والإيمان العقلي الذي يرجع الإنسان استقلاليته وتحرره من الأوثان والعبودية ففي الإنسان الكوني لا يوجد حرب ونزعات لا إنسان ضد أخيه الإنسان كما يشير هوبز ولاحرب الكل ضد الكل،، بل يمكننا بفضله الرجوع إلى الحالة الطبيعية التي كان يعيش فيها الإنسان في فردوس أو حياة مسالمة وهي الحياة الأصلية التي تحترم قوانين الحياة كما يشير روسو.

إن مثل هذا البحث يبقى مجرد نافذة حاولت من خلالها التأمل وحصر أهم الأسباب والحلول للمشكلة الإنسانية في العصر الصناعي عند الفيلسوف والمفكر الألماني إريك فروم غير أن مشروع فروم ذو النزعة الإنسانية يحتاج من الدراسين والمختصين وقفات لعلها تساهم في بناء ونمو الحس الإنساني خاصة وأنه أحد رواد مدرسة فرنكفورت وأحد أقطاب الاتجاه النفسي والاجتماعي في المدرسة.

إن الإلمام والانشغال بهذا المفكر من شأنه أن يساعد الإنسان المعاصر من العيش في وئام وتصالح مع الطبيعة كيف لا وفروم من الفلاسفة القلائل الذين انشغلوا بمشكلة الإنسان والتقنية والعلاقة بين التطور العلمي وهوية الإنسان.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم:

قائمة المصادر:

1. إريك فروم: أزمة التحليل النفسي، ترجمة فؤاد كمال، دار غريب القاهرة، ط1، 1988.

2. ـــــ ـــــ: الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1989

3. ـــــ ـــــ: مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا. ط1، 1998.

4. ـــــ ـــــ: فن الحب بحث في طبيعة الحب وأشكاله، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة بيروت، د ط، 2000.

5. ـــــ ـــــ: فن الاصغاء، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، إتحاد الكتب العرب، دمشق، 2004.

6. ـــــ ـــــ: التشريحية التدميرية البشرية، ترجمة منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ج1، 2006.

7. ـــــ ـــــ: الإنسان من أجل ذاته بحث في سيكولوجية الأخلاق، ترجمة منقذ الهاشمي، ط1، 2007.

8. ـــــ ـــــ: ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤسسه، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2010.

9. ـــــ ـــــ: جوهر الإنسان، ترجمة سلام خيريك، دار الحوار، سورية، ط1، 2011.

10. ـــــ ـــــ: فن الوجود، ترجمة أيناس نبيل سليمان، دار الحوار، سورية، ط1، 2011.

11. ـــــ ـــــ: مساهمة في علوم الإنسان الصحة النفسية للمجتمع المعاصر، محمد حبيب، دار الحوار سورية، ط1، 2013 .

12. ـــــ ـــــ: عن العصيان، ترجمة يوسف نبيل، روافد للنشر، القاهرة، ط1، 2016.

13. ـــــ ـــــ: حب الحياة، ترجمة حميد لشهب، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، سبتمبر 2016.

14. ـــــ ـــــ: عن العصيان، ترجمة يوسف نبيل، روافد للنشر، القاهرة، ط1، 2016.

15. ـــــ ـــــ: المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، الإشراف الفني والطباعي أحمد عكيدي، ط1.

16. ـــــ ـــــ: الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كمال، دار غريب القاهرة، د ط، د س.

17. ـــــ ـــــ: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، شركة نداكوم، دط.

المراجع:

1. أبي بكر الوالبي: ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
2. أكسل هونيث: التشيؤ دراسة في نظرية الإعتراف ترجمة كمال بومتير، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط2، 2012.
3. أمام عبد الفتاح: أمام أفلاطون والمرأة، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ط2، 1996.
4. أوغسطين: إعترافات إوغسطونيوس، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق لبنان، ط4، 1991.
5. بول أروبنسن السيار الفرويدي، ترجمة عبده الريس، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004.
6. توم بوتو مور: مدرسة فرنكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار أويا، طرابلس، الطبعة الثانية، 2004.
7. جان ماري بيلت: عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة السيد محمد عثمان ، عالم المعرفة، الكويت.
8. حسن حمادة: الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة القاهرة، مصر، د ط، 2005م.
9. خديجة زيتلي وآخرون: الفلسفة السياسة المعاصرة، دار الأمان الرباط، د ط.
10. رشيد الحاج صالح: الإنسان في مصر ما بعد الحداثة، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ماي 2013، دط.
11. زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، القاهرة، د ط.
12. ـــــ ـــــ: مشكلة الحب، دار مصر، مصر، ط5، 1964.
13. سغموند فرويد :الطوطم والحرام، ترجمة جورج طرابلشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008.
14. السيد أحمد القابنجي: مدارس علم النفس، جلد1.
15. عبد الرحمان بدوى شهيدة، العشق الإلهي، رابعة العداوية، مكتبة النهضة، مصر، ط3، 1962.
16. عبد الله مصطفي نرمسك: البوذية وتاريخها وعقائدها والعلاقة الصوفية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1999.
17. على عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانه: مدرسة فرنكفورت النقدية، إبن النديم، الجزائر، 2012، ط1.
18. فارس كمال: نظمي الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار ئاراس للطباعة والنشر، العراق، ط1، 2007.
19. فرويدك نتشه: إرادة القوة، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا للنشر، المغرب، د ط، 2011.
20. فؤاد زكريا: هوربت ماركيوز، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2005.
21. فيصل عباس: التحليل النفسي والإتجاهات الفرويدرية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.
22. ـــــ ـــــ: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، دار المنهل اللبناني، ط1، 2005.
23. كمال بومنير: أكسل هونيث فيلسوف، الإعتراف منتدى المعارف، بيروت، الطبعة الأول، 2015.

24. ماري لومينيه، الفلاسفة والحب، ترجمة دنيا منذور، دار التنوير القاهرة، ط1، 2015.
25. حمد حسن النائيني: الإنسان في ظل الأخلاق شبكة الفكر، دط.
26. محمد سبيلا مدرارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.
27. محمد نور الدين أفايه الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1998.
28. هربرت ماكيوز: الإنسان والبعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الأدب ، بيروت، الطبعة الثانية،1998.

المعاجم:

1. مصطفى حسينة: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009.
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1982.
3. لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، عويدات للنشر، ط1، 2001.

المجالات والموسوعات:

1. مجلة جامعة الكوفة، كلية الأدب، قسم الفلسفة، حسين حمزة شهيد، الأخلاق في الفكر أفلاطون الفلسفي، العدد 10، 2008.
2. أحمد الفقيه إريك فروم، الشاهد الأخلاقي على إغتراب الغرب، مجلة الإستغراب، الرباط، خريف 2015.
3. علاء الدين العالم، جاب بول سارتر، عاصفة على الفكر العالمي، مجلة العرب، لندن، العدد 9643، نشر في 2014/08/09.
4. عبد الكريم سليم علي: الإغتراب في إشكالية المفهوم، مجلة كتابات إياد الراملي، السبت 16 تشرين الثاني 2013.

المواقع الإلكترونية:

1- الشيخ صالح المنجد: مبدأ الشيوعية، موقع الإسلام سؤال وجواب، السعودية، العدد 166104 نشر بتاريخ 2011/05/26.

2- إعداد نور اليوسف: الحب الأفلاطوني، موقع الباحثون السوريون، الفلسفة والعلوم الاجتماعية، لندن، في 01-09-2014،

فهرس المحتويات

إهداء .....

شكر.....

مقدمة..... أ–ج

الفصل الأول: الأسباب المفضية للتحول الإنساني

تمهيد..... 05

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية لأريك فروم..... 06

أولا: الحرب العالمية وظهور النازية..... 06

ثانيا: مدرسة فرنكفوري النقدية. 09

ثالثا: الإتصال الفكري للفلسفة بباقي العلوم 11

المبحث الثاني: الثورة الصناعية وتأثيراتها على الإنسان..... 13

أولا :الثورة الصناعية الأولى..... 13

ثانيا: الثورة الصناعية الثانية..... 15

ثالثا: الفرق بين الإنسان والإنسانية. 16

المبحث الثالث: إريك فروم والعقل الأداتي. 18

أولا: تعريف العقل الأداتي..... 18

ثانيا: الفرق بين العقل والذكاء. 19

ثالثا: الإنقسام بين التفكير والشعور..... 20

رابعا: الإنسان المعاصر والطبيعة..... 21

المبحث الرابع: المبادئ المرشدة للنظام التكنولوجي الراهن 24

أولا: مبدأ الحقيقة العامة..... 24

ثانيا: مبدأ الكفاية والإنتاج. 25

ثالثا: فروم ونقد الرأسمالية..... 26

الفصل الثاني: مشكلة الوعي عند الإنسان المعاصر

تمهيد..... 29

المبحث الأول: الإنسان والتسلط التقني..... 30

أولا: الإنسان الآلي..... 30

ثانيا: التقنية والتدميرية لدى الإنسان. 32

ثالثا: الصنمية وغياب الحرية. 34

رابعا: غياب الفردانية في ضل النظام الآلي. 35

المبحث الثاني: النزعة التجريدية لدى الإنسان المعاصر 38

أولا: الإنسان الكمي والتجريدي..... 38

ثانيا: النجاح كمعيار قيمي للإنسان المعاصر. 39

ثالثا: الإنسان وظاهرة التشيؤ. 41

المبحث الثالث: كينونة الإنسان المعاصر. 44

أولا: الإنسان التملكي. 44

ثانيا: الإنسان الإستهلاكي..... 46

ثالثا: دور وسائل الإعلام في توجيه الإنسان..... 48

الفصل الثالث القيم الروحية ودورها في إعادة بعث الإنسان

تمهيد..... 54

المبحث الأول: الأخلاق المظللة للإنسان..... 55

أولا: مدخل مفاهيمي..... 55

ثانيا: الأخلاق المطلقية 58

ثالثا: الأخلاق النسبوية..... 59

المبحث الثاني: الأخلاق بين الدين التسلطي والإنساني..... 61

أولا: الأخلاق والدين التسلطي..... 61

ثانيا: الأخلاق الإنسانية ودورها في التوجيه الإنساني..... 63

المبحث الثالث: الحب كقيمة إنسانية..... 67

أولا: تعريف الحب 67

ثانيا: عناصر وأساسيات الحب 71

ثالثا: الحب ومبدأ التكافل الاجتماعي..... 74

خاتمة..... 78

قائمة المصادر والمراجع..... 83

فهرس المحتويات..... 87